٤

الوزير صفي الدين عبد الله بن شكر ودوره في خدمة الدولة الأيوبية (٥٤٨ - ٦٦٢ هـ / ١١٥٣ - ١٢٢٥ م)

د. محمد عبد الستار البنا
مدرس التاريخ الإسلامي
بالمعهد العالي للسياحة والفنادق بالإسكندرية

تمهيد

تعتبر الدولة الأيوبية ٥٦٧ ــ ٦٤٨ هـ / ١١٧١ـ ١٢٥٠ م التى حكمت مصر والشام من الدول المهمة فى تاريخ العصور الوسطي ، وتنبع هذه الأهمية من الدور الذي أطلع به حكام الدولة حينما تصدوا لخطرين أرادا أن يلتهما الشرق الأدنى في ذلك الوقت ونعني بهما خطر الصليبين من الغرب وخطر المغول من الشرق .

لقد سيطرت نزعة الجهاد علي سلاطين الدولة الأيوبية ابتداء من أول حكامهم وهو السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب[١] وحتى لخر سلاطينهم وهو الملك المعظم غياث الدين توران شاة[٢] الذى استشهد في ساحة القتال بعد أن هزم الفرنج سنة ٦٤٨هـ ــ ١٢٥٠م[٣].

ولقد تطلبت هذه الظروف التى مرت بها مصر نظاما إداريا قويا لمواجهة تلك الأخطار والتحديات لذلك وجدنا على رأس هذا الجهاز السلاطين الأقوياء يليه وزير يستشيره فى مهام الأمور يعاونها جهاز إدارى ضخم لتصريف شئون الدولة فى النواحى المالية والاجتماعية والتعليمية وغيرها .

وإذا كان السلاطين الأيوبيين قد تمتعوا بسلطة مطلقة خلال فترة حكمهم مصر والشام وكان الرأى الأول والأخير لهم فيما يرونه ويتخذونه من قرارات إلا أن الظروف حتمت عليهم اتخاذ الوزراء الذين شدوا من أزرهم وشاركوهم فى الأمر .

وظهر فى ذلك العصر كوكبة من ألمع الشخصيات كانت جديرة بتولى منصب الوزارة نخص بالذكر منهم القاضى الفاضل[٤] الذى مدحه وأثنى عليه صلاح الدين بقوله : " لا تظنوا أنى فتحت البلاد بسيوفكم ولكن بقلم القاضى الفاضل[٥] وبلغ من قدر هذا الرجل أن السلطان صلاح الدين كان لا يبرم أمرا دون استشارته والرجوع إليه .

وعندما انتهت الدولة الصلاحية وجاء الملك العادل إلى سدة الحكم استوزر شخصية أخرى لا تقل كفاءة عن القاضي الفاضل بل إنه فى تقديرى جمع بين حكمة القاضى الفاضل وزاد على ذلك قسوة الطبع وقوة الشكيمة على حسب ما تطلبته الأوضاع التى مرت بها الدولة الأيوبية فى ذلك الوقت .

إن شخصية الوزير ابن شكر وهو موضوع البحث شخصية فريدة أثرت فى سير الحوادث بمصر ، وأثبت مهارة إدارية عالية لذا استحق ما بذل من جهد لإماطة اللثام عن هذه الشخصية وجهودها فى خدمة مصر و الإسلام والدولة الأيوبية فى هذه الفترة المهمة من تاريخها .

ومن خلال صفحات هذا البحث سنتناول بالتحليل شخصية ابن شكر مبتدأين بنشأته ومولده ، ثم نتحدث عن علاقته بحكام الدولة الأيوبية وخاصة السلطانين العادل وولده الكامل محمد ، ثم نعرض لعلاقته بأرباب الدواوين ورؤساء المصالح والكتاب وكبار المسئولين والعلماء فى الدولة الأيوبية . ٤

ونختم هذا الموضوع بالحديث عن المنشآت المتنوعة التى شيدها ابن شكر إبان حقبة وزارته فى كل من مصر والشام واستفاد منها الناس .

وفى آخر هذا البحث دونت أهم ما توصلت إليه من نتائج وما سجلته من ملاحظات خاصة بسيرة أحد المسئولين فى الدولة الأيوبية ونعنى به ابن شكر والذى كان له دورا بارزا فى سير الحوادث بمصر فى تلك الحقبة المهمة من تاريخنا كما سيتضح من خلال قضايا البحث .

أولا : مولده ونشأته :

هو صفى الدين ، أبو محمد عبد الله بن على بن الحسين بن عبد الخالق بن الحسين بن الحسن بن منصور ، الشيبى ، القرشى ، المصرى ، الدميرى ، المالكى ، المعروف بالصاحب ابن شكر وأول ما نلاحظه على اسمه هو أن بعض المؤرخين جعل من الحسين جدا لابن شكر ، فى حين ذهب البعض الآخر إلى أن عبد الخالق هو جده[٦].

وثمة ملحوظة أخرى ولكن أشار إليها فى هذه المرة النويرى ومفادها هو أن هذا الوزير المذكور لم يكن من بنى شكر ، وإنما هو ابن عم القاضى كمال الدين أبى السعادات ، أحمد بن شكر[٧] لأمه فعرف به[٨].

ولكن المقريزى يذهب إلى أن والدة ابن شكر قد تزوجت بابن القاضى أحمد بن شكر والمدعو الوزير الأعز فخر الدين مقدام بن أحمد بن شكر بعد وفاة زوجها الذى تولى تربيته ونوه باسمه لأنه كان ابن عمه فعرف به وقيل له ابن شكر[٩]. وولد الطفل عبد الله بن على بن شكر بقرية دميرة وهى إحدى القرى الكائنة بإقليم الغربية[١٠]. وهناك شبه إجماع على أن تاريخ مولده هو اليوم التاسع من شهر صفر سنة ٥٤٨هـ – ١١٥٣م[١١] ولم يشذ عن هذه القاعدة سوى أبو شامة[١٢] وابن كثير[١٣] اللذان أرخا ذلك الحدث بسنة ٥٤٠هـ – ١١٤٥م .

تتلمذ ابن شكر على يد عدد من أنجب العلماء منهم الفقيه أبى بكر عتيق البجائى الذى تخرج على يديه . ثم رحل إلى الإسكندرية ، ودرس بها على يد الشيخ شمس الإسلام أبى القاسم مخلوف بن جارة وسمع من كوكبة من الفقهاء وحصل منهم على الإجازة ومن هؤلاء الحافظ السلفى[١٤] وأبى الطاهر إسماعيل بن عوف ، وأبى الطيب عبد المنعم بن يحيى بن الخلوف ، وأبى محمد بن برى[١٥] ، وأبى الحسين أحمد بن حمزة بن الموازين ، وجماعة[١٦].

لم يقتصر الأمر على تلقى ابن شكر للعلم به بل إنه كان أيضا صاحب رسالة علمية حيث أنه نشأ نشأة صالحة ، وتجلى ذلك فى إقباله على الحديث بدمشق ، ومصر ، كما روى عنه عدد من أساطين علم الحديث نخص بالذكر منهم اثنين من كبار العلماء وهم الزكى المنذرى[١٧] والشهاب التوصى[١٨] . وقد أعجبهما براعة ابن شكر بدليل أنهما أثنيا عليه ، فقال المنذرى : " كان مؤثرا للعلماء والصالحين ، كثير البر بهم ، والتفقد لهم ، لا يشغله ما هو فيه من كثرة الأشغال عن مجالستهم ومباحثاتهم[١٩] .

وأشار إليه القوصي بقوله : " هو الذى كان السبب فيما وليته وأوليته الدولة الأيوبية من الإنعام ، وهو الذى انشأنى وأنساني الأوطان ، ولقد أحسن إلى الفقهاء والعلماء مدة ولايته "[٢٠].

ومما يؤكد الصلة العلمية بين الحافظ السلفى وتلميذه ابن شكر أن أبو شامة بلغة أن ابن شكر قال : أنشدنا الحافظ السلفى لنفسه فى إحدى الجلسات .

مهما تهاون فى أمرى امرؤ وغدا

مصارما لا أرى إلا مبجله

وأن أساء مسيء فوق طاقته

أحسنت مجتهدا حتى أخجله

كما سمع ابن شكر منه أيضا لابن رشيق وقد سئل : لم لا تركب البحر للحج ؟ فقال معتذرا :

البحر صعب المرام هولا ... لا جعلت حاجتى إليه

أليس ماء ونحن طين ... فهل ترى صبرنا عليه[٢١]

٦

وأما عن صفاته الشخصية فيسمه البغدادى بأنه طويل القامة ، درى اللون ، مشرب بحمرة ، صحيح البنية ، حلو اللسان ، حسن الهيئة ، ذا دهاء مفرط ، فيه وهج وخبث وطيش ورعونة مفرطة ، وحقد لا تخبو ناره ويظن انه لا ينتقم فيعود وينتقم ، لا ينام عن عدوه ولا يقبل له معذرة ، ويجعل الرؤساء كلهم أعداءه ، ولا يرضى لعدوه بدون الهلاك ، ولا تأخذه فى نقماته رحمة ، وكأنه لن يطوله عقاب الله فى الآخرة[٢٢].

لقد كان ابن شكر شديد البطش ، عظيم الهيبة ، سريع البادرة ، جسورا مقداما ، وقاسى الناس منه شدائد كبيرة . وانتزح جماعة من أكابر رجال الدولة عن أوطانهم بسببه ومع ذلك كان كريما ، إلا انه لم يسمع بوزير من المتعممين أى من الفقهاء أو العلماء كان أظلم منه[٢٣].

وكان ابن شكر يسكن بخط دار الديباج[٢٤] بالقاهرة ، فصار يعرف بخط سويقة الصاحب ، وهي حي جسيم به مساكن جليلة وسوق ومدرسة[٢٥].

ويعتبر صفي الدين ابن شكر هو أول الوزراء المصريين الذين أطلق عليهم لقب الصاحب ، فلا نعلم أحدا من الوزراء العباسيين أو الفاطميين نعت بهذه التسمية ، وإنما نعت بها ابن شكر ومن جاء بعده من وزراء مصر حتى زمن المقريزي[٢٦].

ومن المعلوم أن وظيفة الوزير هي من أرفع المناصب في الدولة بعد السلطان ، وإذا كان هذا الوزير من أرباب الأقلام أي من العلماء والفقهاء كان يطلق عليه اسم الصاحب هذا بخلاف ما إذا كان من أرباب السيوف أي من المناصب والرتب العسكرية كالأمراء والجنود فإنه لا يقال له الصاحب[٢٧].

ثانيا : علاقة الوزير ابن شكر بالسلاطين الأيوبيين :

١ ـ صلته بالملك العادل :

كان ابن شكر قد اتصل بالملك العادل وعمل في خدمته في أواخر أيام دولة الناصر صلاح الدين الأيوبي . وذلك حينما أسند صلاح الدين أمر الأسطول لأخيه العادل وخصص له عدة جهات وبعض الموارد المالية للصرف عليه فأسند العادل أمر ديوان هذه المعاملة للصفي ابن شكر . وكان ذلك في سنة ٥٨٧هـ ـ ١١٩١م . ومنذ هذه اللحظة اشتهر اسمه وتخصص بالملك العادل[٢٨].

ولما استولى الملك العادل على ديار مصر سلطانا عليها ، أسند منصب الوزارة إلى صنيعة الملك أبو سعيد بن أبي اليمن بن النحال[٢٩] ، الذي استمر فيها مدة يسيرة ثم مات ، فاستوزر صفي الدين ابن شكر[٣٠]. والحقيقة أن هناك أكثر من سبب في إسناد هذا المنصب الرفيع لابن شكر فقد قيل أن العادل لما خرج من دمشق في أثر الملك الأفضل علي[٣١] بن صلاح الدين وتعقبه إلى القاهرة ، اجتاز في طريقه مدينة القدس ومعه صفي الدين ، فاستحلفه أنه متى حصل له

ملك الديار المصرية ، يمكنه من المصريين ، فحلف له على ذلك . وبالفعل لما ولي العادل السلطنة في سنة ٥٩٦هـ ــ ١٢٠٠ م استوزره ومكنه[٣٢]. كذلك نرى أن شهامته ، وشجاعته ، وجرأته ، وإقدامه ، وسيادته ، وديانته ، وصرامته من العوامل التي ساعدته في أن يتبوأ هذا المنصب الجليل .

وقد لاقى تعيين ابن شكر في هذا المكان ارتياحا من بعض المعاصرين وشعروا بأنه الرجل المناسب في المكان المناسب ومصداق ذلك قول العماد الأصفهاني : " أعط القوس باريها ، وأجر الأمور على أحسن مجاريها "[٣٣].

وبعد أن تقلد الملك العادل مراسيم السلطنة في مصر أجرى عدة تعديلات في دولته في مجالات القضاء ، والتعليم وغيرها .

كما أسند منصب الوزارة لابن شكر فبادر بالجلوس في دار السلطنة ومن حجرة القاضي الفاضل بدأ يباشر مهامه وينظر في أمور الدواوين[٣٤]. فحل عند العادل محل الوزراء الكبار والعلماء المشاورين ، وباشر الوزارة بسطوة وجبروت وتعاظم[٣٥]. ٨

وما نأخذه على الملك العادل في إطار هذه العلاقة بينه وبين موظف عام في دولته وهو ابن شكر ذلك التساهل الذي يجذب الانتباه تجاه صفي الدين ابن شكر والذي استغله الأخير بحماقة كلفته في نهاية الأمر ثمنا غاليا .

لقد تجبر ابن شكر وطغى وكان كثير الغضب من الملك العادل والتجنى عليه وهو يحتمله . لقد استولى على الملك العادل ظاهرا وباطنا ولم يمكن أحدا من الوصول إليه ، حتى الطبيب ، والحاجب[٣٦]، والفراش ، سلط عليهم الجواسيس فلم يتجاسر أحد منهم أن ينطق بكلمة واحدة فرقا منه[٣٧].

ومن مظاهر ذكاء ابن شكر أنه أظهر الزهد في أموال الدولة ، فلم يأكل من الدولة فلسا واحدا ، وكان يظهر أمانة مفرطة ، فإذا لاح له مال عظيم احتجنه ، ورقص أن يأخذ أوراقا صغيرة من كتابه وأمره بردها وتناثرت

أملاكه وضياعه فى مصر والشام فكان له فى كل بلد من بلاد السلطان ضيعة أو أكثر وبلغ دخله من هذه الاقطاعات حوالى مائة وعشرين ألف دينار[٣٨].

كل ذلك أدى إلى ازدياد نفوذ ومكانة الوزير ابن شكر فى مصر حتى أصبحت له حرمة عظيمة زادت على حرمة السلطان وعظم أمره، وكثرة إدلاله عليه، والعادل يترضاه بكل السبل، وبلغ الأمر أن أولاد الملك العادل كانوا يأتون إلى داره فيجلسون على بابه، حتى يؤذن لهم، فثقل ذلك على الأمراء، وسعت نفوسهم إلى مخاطبة السلطان فى هذا الأمر، ولكنه كان معرضا عنهم ومقبلا على وزيره فلم يسمع فيه كلام متكلم[٣٩].

ونود أن نشير إلى أن شهرة هذا الوزير تجاوزت حدود مملكة مصر والشام واشتهر ذكره فى دولة الخلافة ببغداد إذ يروى المؤرخون أنه فى عام ٦٠٤هـ – ١٢٠٧م وصل رسول الخليفة العباس بالخلع من بغداد إلى دمشق وبعد أن خلع على الملك العادل وعلى ولديه المعظم عيسى[٤٠] والأشرف موسى[٤١]، لكل واحد عمامة سوداء، وثوبا أسود واسع الكم، خلع على الصاحب ابن شكر كذلك، وركب الأربعة (أعنى العادل وولديه وابن شكر الوزير) بالخلع، ثم عادوا إلى قلعة دمشق، وتولى صفى الدين ابن شكر قراءة التقليد (أى تقليد العادل بالبلاد التى تحت حكمه) وهو على كرسى، وكان ذلك عام ٦٠٤هـ – ١٢٠٧م[٤٢].

ومما يقف دليلا على صدق ما ذهبنا إليه أن خليفة بغداد الظاهر بأمر الله[٤٣] أرسل مبعوثا من قبله فى ٦٢٣هـ محملا بالخلع والتقليد للملك الكامل وإخوته، بالإضافة إلى خلعه لوزيره الصاحب ابن شكر .. وكان قد مات، فأمر الكامل كاتب الإنشاء أن يلبس خلع الصاحب فلبسها[٤٤].

غير أن هذه المنزلة العالية التى تمتع بها الوزير ابن شكر لم تدم طويلا إذ سرعان ما دبت الخلافات بينه وبين الملك العادل وتفجرت أزمة بينهما فى سنة ٦٠٦هـ – ١٢٠٩م، إذ كان السلطان على سنجار[٤٥] فى هذا العام، فاتفق

أن الصاحب تحدث معه في شيء لم يرق له ، فلم يجبه ، ففادر الوزير المجلس وهو في حالة من الغضب وتناول من فيه بما لا يليق ، حتى شعر الملك العادل بالخجل ، وفرصة للكلام في حقه . وكان العادل ممن يتصفون بالثبات ، والحلم ، وقلة البطش ، على العكس من صفي الدين ، فبقيت هذه الحادثة كامنة في نفس السلطان حتى تمكن منه وأقاله من الوزارة واستدعى القاضي الأعز فخر الدين مقدام بن أحمد بن شكر وأسندها إليه في حين لزم الصاحب ابن شكر داره[٤٦].

ولكن الفساد المالي سرعان ما أطاح بوزارة فخرالدين فقبض عليه العادل ثم عزله سنة ٦١٣هـ – ١٢١٦م واعتقد الصاحب ابن شكر أن العادل سيعيده للوزارة مرة أخرى ، فصار يركب في المواكب ، ويستعرض للقاء السلطان ، ثم فتح بابه ، وصار الناس يدخلون عليه ، والأعز وغيره يذكرون ذلك للملك الكامل . فاتفق أن الكامل مر بدار الصاحب فوجد الخيل على بابه ، فقال لمن معه من الأمراء : ما هذا إلا أحمق ! يفتح بابه ويأمر الناس أن يدخلوا إليه ويمد السماط (أي الطعام) ، والسلطان غير راض عنه . وبلغ العادل ما قاله الكامل ، فقال في مجلسه : ما يكفي ابن شكر أنه أخذ مالي ، حتى أطرح جانبي بفتح بابه . وحينما علم الصاحب بذلك ، ركب إلى القلعة لمقابلة الكامل واعتذر عن مقابلته بحجة أنه مشغول ، فسأله الصاحب أنه يريد أن يستخدمه السلطان ،أو يدعه يخرج من بلاده . وطلب من الكامل أن يكون سفيرا له عند أبيه فرفض الكامل التدخل في هذا الأمر[٤٧].

عاد ابن شكر يجر أذيال الخيبة ، ومضى إلى دار والدة الملك المعز مجير الدين[٤٨] يعقوب بن العادل وتعلق بذيل ستر الباب . ووافق أن العادل كان عندها في ذلك الوقت . فعظم ذلك عليه لكونه قصد زوجته ، وأراد قتله ، ثم عدل عن ذلك ، ولوعز إلى الكامل أن يطالبه بستمائة ألف دينار أخذها منه ابن شكر وهو على سنجار[٤٩].

وجد الكامل السبيل إلى إذلال ابن شكر فطلبه للمثول بين يديه ووبخه وأمر بانتزاع أملاكه منه. ثم حضر جماعة من بعد ذلك إلى الكامل وعرفوه أنه كان قطانا فى ابتداء أمره ، معربين عن دهشتهم من جهة لهذه الأموال ، فاتضح أن البعض كان يصانعه بالمال فعام العادل بما دار فى هذا المجلس ، فأمر بنفيه بعد أن حاكموه وطبقوا عليه قانون من أين لك هذا[٥٠].

شرع ابن شكر فى بيع موجودة لسداد ما عليه ، ثم أرسل إليه العادل يقول له : أخرج إلى بلد لا تقام لى فيه خطبة . فخرج من القاهرة فى يوم الخميس ، لخمس بقين من جمادى الأخرة سنة ٦١٣ هـ / ١٢١٦ م فلما وصل إلى بلبيس أصدر العادل أمره بتعطيله ، وأخذ منه مالا واحتجزه عدة أيام فى هذه المدينة[٥١] قبل أن يطلق مراحه متوجها إلى آمد[٥٢].

وبعد عزل بن شكر من منصبه أرسل الكامل خطابا إلى أخيه المعظم عيسى بدمشق يطلب منه مصادرة أملاكه . ثم أعقب ذلك أوامرا أصدره العادل بعزله من ديوان دمشق وتولية أخر مكانه . وفى نفس الوقت حرم على ابن شكر دخول دمشق فانتظر ببلدة الكسوة[٥٣] التى وصلها عاشر ربيع الأخر ٦١٤ هـ / ١٢١٧ م ريثما أنهى له والى دمشق المصالح الخاصة به ، ثم رحل عنها فى يوم الأحد السادس عشر من نفس الشهر فبات بقرية من قرى الغوطة[٥٤] وغادرها إلى القصير[٥٥] فى الغد ، ومن القصير إلى جهة الفرات على طريق البرية وهناك خرج إليه جماعة من أعيان تلك الجهات ، ولما قطع الفرات لم يمكنه الملك الأشرف بن العادل من المقام ببلاده فرجع إلى سلمية[٥٦] والتجأ إلى صاحبة حماة فأواه وأحسن إليه فلما علم الملك العادل بذلك أنكره عليه وأمره بإبعاده عنه فلم يمكنه مخالفته وخرج على الفور من حماة قاصدا صاحب آمد فتلقاه بنفسه وبالغ فى إكرامه[٥٧].

ومن الجدير بالذكر أن ابن شكر حينما خرج من الديار المصرية فى شهور سنة ٦٠٩ هـ / ١٢١٢ م اصطحب معه جميع أمواله وحرمه وأولاده وغلماته

وحمل أثقاله ثمانون جملا . وتحدث أعدازه مع الملك العادل بشأن القبض على أمواله فلم يوافقهم على ذلك ولم يعارضه في شيء[٥٨]. وظل مقيما بآمد حتى توفى الملك العادل سنة ٥١٦ هـ / ١٢١٨ م فجاء إلى مصر .

٢ - علاقة الوزير ابن شكر بالملك الكامل محمد:

على الرغم من اختلاف المؤرخين في موعد حضور بن شكر من آمد إلى القاهرة وتاريخ هذا الحدث بسنة ٥١٦ هـ / ١٢١٨ م أو سنة ٦١٦ هـ / ١٢١٩ م إلا أن ما يهم الباحث هنا هو أن إبراز الدور الذى لعبه الوزير بن شكر في هذه الفترة العصيبة في حياة مصر وتبيان مدى اعتماد الملك الكامل عليه في تنفيذ سياسته الرامية إلى إنقاذ مصر من براثن الصليبيين الذين كانت تتعرض مصر لخطرهم في هذا الوقت .

رأى الملك الكامل أن الضرورة تستدعي حضور بن شكر من منفاه ، لموت والده ، ومهاجمة الفرنج لدمياط ، وخروج بعض الأمراء عليه وكل ذلك بالطبع سيعرض مصر لخطر جسيم ، لذا لم يتوان الكامل وأرسل في طلبه بعدما كان يعانيه ، فقدم ابن شكر إلى دمشق ثم توجه منها إلى مصر . ووصل إلى منزلة العادلية القريبة من دمياط فتلقاه الكامل وأكرمه وشرع يحكى له ما يعانيه من مشاكل تهدد كيان الأسرة الأيوبية في مصر . فشهر ابن شكر عن ساعديه وأظهر همة عالية وتمكن من القضاء على مشكلات العصيان والمال التى جابهت الكامل فأشار عليه بأن يسير الملك الفائز[٥٩] الذى حاول خلع الكامل إلى ملوك الشام ويسألهم الحضور إليه لينجدوه فصادفت هذه الفكرة قبولا عند الملك فجهزه وأرسله إليهم فمات في الطريق . وبذا فشلت محاولة الأمير عماد الدين أحمد بن المشطوب في خلع الكامل وتولية الفائز[٦٠].

وتغلب ابن شكر على مشكلة المال بعدما عرفه الكامل ما يحتاج إليه من الكلف والنفقات بسبب العدو الصليبي فضمن له تحصيل كل ما يحتاج إليه ، وفي هذا الصدد صادر أصحاب الأموال ، والتجار ، والأكابر وحصل على

١٢

تبرعات من ذوى الأموال . بل إنه أرغم الساسة ، والصناع ، والمغانى ، ومعلمى الكتاتيب ، وغيرهم على دفع الأموال . وبهذه الطريقة جمع مالا عظيما أمد به السلطان[١١].

كان من الطبيعى أن تزداد مكانة ابن شكر فى دولة الكامل نتيجة لجهوده فى خدمتها وقد لمسنا ذلك بعد انتهاء أحداث الحملة الصليبية الخامسة وانتصار الملك الكامل على الفرنج حيث تمكن ابن شكر من الكامل ، وقويت يده ، وتوفرت مهابته ، وأصبح من المألوف أن ينزل الكامل من قلعة الجبل ويجلس مع ابن شكر فى نظرته التى كانت على الخليج ويتشاور معه فى أمور الدولة[١٢].

لذا لم يكن غريبا أن يخاف الناس من ابن شكر وتملأ هيبته صدور الرجال . وبلغ عند الكامل منزلة عالية بحيث أنه بعث إليه بولديه الملك الصالح نجم الدين أيوب والملك العادل أبى بكر ليزوراه فى أحد الأعياد فقاما على رأسه قياما ولفت ذلك نظر أحد الشعراء الموجودين فزاد فى القصيدة التى كان يلقيها حينما رأى الملكين قياما على رأسه :

١٣

لو لم تقم لله حق قيامه ما كنت تقعد والملوك قيام[١٣]

يمتع ابن شكر بمكانة كبيرة وأصبح رأيه موضع اهتمام من قبل السلطان الكامل بل إنه كان لا يتردد كثيرا فى تنفيذه وليس أدل على ذلك من أنه أشار على الكامل بإرسال ولده الملك المسعود[١٤] وليس الفائز هو الرجل المناسب للتوجه إلى اليمن كنائب له فأجابه[١٥].

وفى مجال الإدارة كان يقرر للكامل مدى صلاحية الأشخاص الذين يشغلون وظيفة معينة فيروى النابلسى أن الكامل عرض عليه أمر الدواوين فأبى معتذرا بعدم إجادته لمثل هذه الأمور فرد عليه الكامل قائلا : " ..... أوراق القاضى صفى الدين ابن شكر عندى بأنك أهل لتدبير الدولة كلها ، فقلت يا مولانا القاضى أحسن الظن بى وأنا أعرف بنفسى ، فقال : فوالله لى فيك أمل أن

أعظم قدرك وأجعل هؤلاء كلهم يترددون إلى بابك (يعني قوما كانوا خواص في خدمته) فدعوت له وخرجت إلى الشرقية "[٦٦].

ظل ابن شكر يتبوأ هذه المكانة الرفيعة في مصر ، وعلى الرغم من أنه قد كف بصره إلا أنه استمر في الوزارة يدبرها إلى حين وفاته ، وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على مدى تمسك الملك الكامل به وكفايته في آن واحد وهو ما شهد له به أحد المؤرخين المعاصرين له فقد رأى منه جلدا عظيما بحيث كان لا يستكين للنوائب ، ولا يخضع للنكبات فلم يؤثر فيه موت أخيه ، ولا فقدان أولاده ، بل إنه كانت تصيبه الحمى ، وهو في مجلس السلطان ينفذ الأشغال ولا يلقي جنبه على الأرض[٦٧] .

ومن هذا الغريب أن يقرر بعض المؤرخين مثل ابن الوردي[٦٨] ، والحنبلي[٦٩] أن الكامل اكتفى بعد وفاة ابن شكر سنة ٦٢٢هـ ــ ١٢٢٥م بتدبير أمور دولته بنفسه ولم يعين وزيرا مكانه ، وقام بالأمر بمفرده . ١٤

ولكن النويري يوضح لنا أن الملك الكامل ولى يوسف بن صفي الدين بن شكر الوزارة بعد وفاة والده وظل فيها شهرين ثم صرف واستخدمه موقعا[٧٠] ، وبعد ذلك ولاه ناظر للدواوين بالديار المصرية . ثم عزله، واعتقله[٧١] قبل أن يفرج عنه في سادس عشر شعبان ٦٢٥هـ ــ ١٢٢٨م ثم ولي الجزيرة[٧٢] وديار بكر[٧٣] وحران[٧٤] في الدولة الكاملية ومات هناك[٧٥].

أثبتت الأحداث للكامل محمد سلطان مصر أن الزمن قلما يجود برجل في شخصية الوزير ابن شكر يستطيع أن يعتمد عليه في إدارة شئون دولته لذلك لم يكن غريبا بعد وفاته واعتقال ولديه ومصادرة أملاكهما أن نجد الكامل لم يستوزر أحدا بل كان يستنهض من يقع في اختياره عليه لتدبير الأشغال ، وعول الكامل على نفسه في مباشرة أمور دولته فكان يحضر أرباب الدواوين بين يديه ويحقاقهم[٧٦] .

ثالثا : علاقة الوزير ابن شكر بالكتاب وموظفى الدواوين :

حينما ملك العادل الديار المصرية سنة ٥٩٦هـ ـ ١٢٠٠م لم يتمكن الوزير ابن شكر من مصادرة الناس ، لسببين : أحدهما ما حل بالناس من الغلاء المشهور ، والثانى ملازمة العادل ببلاد الشام . ثم أتيحت له الفرصة عند قدوم العادل من الشام فى سنة ٦٠٢هـ ـ ١٢٠٥م فامسك الصاحب جماعة من رؤساء المصريين ، وأصحاب الدواوين ، والمستخدمين وغيرهم ، وعاقبهم ونكل بهم ، وفعل بهم ما أوجب حقد الناس عليه[٧٧].

ومن حسن حظ القاضى الفاضل أن لم يمتد به العمر حتى يشهد اعتلاء ابن شكر كرسى الوزارة فلا يعلم غير الله ماذا كان سيصنيه على يديه لو عاش حتى هذه اللحظة إذ يروى أغلب المؤرخون أن الفاضل لم يتيقن من استيلاء العادل على القاهرة دعى على نفسه بالموت خوفا من ابن شكر فإنه كانت بينهما وحشة . فخاف أن يستدعيه وبينه فقام تلك الليلة يبكى ويتضرع ويصلى فأصبح ميتا ، وفى الوقت الذى دخل فيه العادل مدينة القاهرة من باب النصر[٧٨] خرجت جنازة الفاضل من باب زويله[٧٩] وبذا مات الفاضل واستجابت السماء بدعائه بألا يحييه الله للدولة العادلية لما بينهما (بين الفاضل وابن شكر) من المنافسة ، فمات ولم ينله أحد بضيم ولا أذى ولا أرى فى الدولة من هو أكبر منه[٨٠].

ولذلك أصيب ابن شكر بخيبة أمل كبيرة ، وكان منه فى قلبه حسرة لأنه على حد تعبيره لم يتمرغ على عتبته ، ولقد دفعه هذا إلى أن يشتمه فى حضور ولده القاضى الأشرف[٨١] فلم يكن يظهر عليه أى تغير ، بل داراه أحسن مداراة ، وبذل له أموالا جمة فى السر[٨٢].

ولم يجد القاضى الأشرف ابن الفاضل فى نهاية المطاف سوى اللجوء إلى بغداد والاستشفاع بالخليفة الناصر وأحضر كتابا منه إلى العادل يشفع فيه[٨٣] .

١٥

أما عن سبب سوء العلاقة بين القاضى الفاضل والوزير ابن شكر فهو ذلك التصريح الذى أدلى به الفاضل بقوله : " وأما ابن شكر فهو من لا يشكر ، وإذا ذكر الناس فهو الشيء الذى لا يذكر ، فقيل للفاضل : ما هو الشيء الذى لا يذكر ؟ فقال : الشيء الذى لا يذكر ، ..... " وتوفى الفاضل وقد عصمه الله منه ولم يمكنه منه[٨٤] .

تعادى ابن شكر فى اضطهاده وتصفية حساباته مع أصحاب الدواوين وكبار الموظفين فى الدولة الأيوبية مما دفع القاضى علم الدين إسماعيل بن أبى الحجاج متولى ديوان الجيش إلى الهرب إلى حلب والإقامة عند حاكمها[٨٥].

كذلك لم يكن حظ صاحب ديوان المال أسعد حالا من نظيره ناظر ديوان الجيش . وقد كان على قمة هذا الديوان الأسعد بن مماتى[٨٦]، الذى ظل محتفظا بمكانته حتى تولى العادل السلطة فى مصر ، فاستوزر ابن شكر فأراد الانتقام منه لأنه كان بينهما ثأر وعداوة قديمة أيام رئاسته عليه ، حيث وقعت من الأسعد إهانة فى حقه فأسرها فى نفسه إلى أن تمكن منه . ثم أحضره إليه ، وأقبل بكليته عليه ، واسند إليه جميع الدواوين التى كانت باسمه قديما ، وبقى الوضع على ذلك سنة كاملة ، وبعد ذلك أبان له الوجه الأخر للعملة ، ودبر ضده المؤامرات ، واتهمه بالأموال الكثيرة ، وطالبه بها فلم يستطع أن يدبرها له ؛ لأنه كان عفيفا ذا مروءة ، فسلط عليه الأجناد وطالبوه بهذه الأموال ، واشتكوه لابن شكر ، فحلمهم فيه ، واشترطوا عليه أن يسدد ما عليه من أموال على فترات متفرقة فاعتذر لهم لأنه كان فى هذه الحالة إما أن يستجدى من الناس ، كما انه أصبح لا يملك درهما واحدا بعدما أخذوه منه . ولذلك لم يجد مفرا سوى اللجوء إلى المقابر ، والاختفاء بها ، وأقام بها طيلة عام كامل . ثم فر إلى الشام ، فلحقه فى الطريق أحد الفرسان ودفع إليه برسالة فضها فإذا هى من ابن شكر لينكر لها فيها أن اختفاءه بالقرافة كان معلوما لديه ، وأن أخباره كانت تأتيه أولا بأول ، بل انه شاهده بعينى رأسه وهو فى مخبأه ، وحينما ولى

١٦

الأدبار هاربا كان على علم بذلك ولو أراد رده لفعل ، ولكن علمه بإفلاسه وقلة حياته وهوانه وأن جريرته لا تساوى قتله أو إزهاق روحه ، ولذا كان الهدف من ذلك هو أن يدعه يعيش خائفا فقيرا ، غريبا ، طريدا[٨٧].

زلزلت هذه الرسالة كيان ابن مماتى فبقى مبهورا إلى أن وصل إلى مدينة حلب ٦٠٤ هـ / ١٢١٨ م وعرف الملك الظاهرى غازى[٨٨] بن صلاح الدين بخبره فأكرمه ووفر له سكنا مناسبا ومرتبا شهريا وظل هناك حتى وافته المنية عام ٦٠٦ هـ / ١٢١٠ م فدفن بظاهر حلب[٨٩].

كان بداخل الوزير ابن شكر شحنة هائلة من الشر والحقد والانتقام على كل من تسول له نفسه التطلع لارتقاء إحدى المناصب العالية ولعل فى علاقته بناظر الدواوين المصرية وهو القاضى الأعزب بن شكر ما يؤيد صحة ذلك . فقد ناب هذا القاضى عن الأعزب بن شكر فى الوزارة أثناء سفر الأخير إلى الشام بصحبة الملك العادل ، وكان الكامل نائبا لأبيه فى مصر فحصل بينه وبين الأعزب مودة فحسده من كان ينوب عن الصاحب ابن شكر قبله فى الوزارة ، وأخذوا يكاتبونه ويبينون له أن الأعزب قد توثب عليه واتصل بالكامل وتمكن منه القاضى الأعز فخر الدين بن مقدام بن أحمد بن شكر وأسندها إليه فى حين لزم الصاحب بن شكر داره. وكان الفساد المالى سرعان ما أطاح بوزارة فخر الدين فقبض عليه العادل ثم عزله سنة ٦١٣ هـ / ١٢١٦ م واعتقد الصاحب ابن شكر أن العادل سيعيده للوزارة مرة أخرى ، فصار يركب فى المواكب ، ويستعرض للقاء السلطان ، ثم فتح بابه وصار الناس يدخلون عليه ، والأعز وغيره ينكرون ذلك للملك الكامل . فاتفق أن الكامل مر بدار الصاحب فوجد الخيل على بابه ، فقال لمن معه من الأمراء : ما هذا الأحمق ! يفتح بابه ويأمر الناس أن يدخلوا إليه ويمد السماط أى الطعام ، والسلطان غير راض عنه . وبلغ العادل ما قال الكامل ، فقال فى مجلسه : ما يكفى ابن شكر أنه أخذ مالى ، حتى أطرح جانبى يفتح بابه . وحينما علم الصاحب بذلك ، ركب إلى القلعة

١٧

لمقابلة الكامل واعتذر عن مقابلته بحجة أنه مشغول فسأله الصاحب أنه يريد أن يستخدمه السلطان ، أو يدعه ويخرج من بلاده . وطلب من الكامل أن يكون سفيره عند أبيه فرفض الكامل التدخل في هذا الأمر.

عاد ابن شكر يجر أذيال الخيبة ، ومضى إلى دار والده الملك المعز مجد الدين يعقوب بن العادل وتلق بذيل ستر الباب . ووافق أن العادل كان عندها في ذلك الوقت . فعظم ذلك عليه لكون قصد زوجته ، وأراد قتله ، ثم عدل عن ذلك وأوعز إلى الكامل أن يطلبه بستمائة ألف دينار أخذها منه ابن شكر وهو على ستجار وجد الكامل السبيل إلى إذلال فطلبه للمثول بين يديه فلما كان في ذي الحجة سنة ٦٠٧ هـ ١٢١٠ م اجتمع بنو شكر عند الصاحب على طعامه ، فأشار بوضع طعام مخصوص بين يدى أحد الموظفين والذى كان ينوب عنه في الوزارة أحيانا . فقال أحد الحاضرين : إن يده طويلة ! يريد أنها تطول وعاء الطعام ، فأشار آخر على سبيل السخرية بأن طولها هو الذى صرفه عن نيابة الوزارة وكأنه يتهمه بالرشوة ! فضحك القاضى الأعز أى ناظر الدواوين ضحكا مفرطا ، بمعنى أنه أمين ، وليس فيه ما يقال كما قيل في غيره ! فغضب الصاحب ابن شكر لذلك وانتهره ، لأنه ضحك في مجلسه بصوت عال[٩٠] . ١٨

عزم ابن شكر على الكيد للأعز وخاف كل نهما من كيد الآخر ،ولجأ الأخير للكامل ليحتمى به فرفض تسليمه لابن شكر رغم شكراه للملك العادل بغية أن يصلح بينهما وتمكن من ذلك في آخر ذى الحجة سنة ٦٠٨هـ / ١٢١١ م فاصطلحا ظاهرا والبواطن بخلاف ذلك .

ولما عجز ابن شكر عن القبض على الأعز لأنه لم يفارق خدمة الكامل ، كما رفض العادل أن يعزله عن نظر الدواوين بناء على طلبه ، امتنع الصاحب من الكتابة على المناشير[٩١] والتواقيع ورفض ممارسة مهام وظيفته طالما الأعز ي، كتب معه فكانت النتيجة تعطل أحوال الناس وشكوا بذلك إلى السلطان ، فترددت الرسل بينه وبين الصاحب يعده بأنه سيمكنه من الأعز في أقرب

فرصة ممكنة فلم يزده ذلك إلا غضبا وإساءة فى الجواب ، فاضطر العادل إلا أن يصدر أوامره بعد أن تنهره بضرورة تسليم الأعز للصاحب بدون إبطاء[٩٢].

يأس الكامل من حماية الدواوين وعرضه برغبة السلطان ، فما كان من الأعز إلا أن كشف للكامل عن سر العداء بينه وبين الصاحب الكثيرا ما كتب للأعز فى حق الملك الكامل ، وأنه أراد صرفه من مملكة مصر ، رغبة فى حق الملك الكامل فى تولى الأشرف موسى أخيه مكانه ، ثم أبرز له هذه الكتب وأطلعه على ما فيها من شتائم وسباب فى حق الكامل ، وسرعان ما وقف العادل على هذه الخطابات وعظم عليه سب ابنه فما أدرك خطورتها لأنه تؤدى إلى الوقيعة بين السلطان وأولاده وبين الأخوة أنفسهم هذا فى الوقت الذى كان العادل يدارى فيه جميع أولاده ، خشية من أن يقوم أحدهم عليه ، فتنحرق حرمته ويختل ميزان دولته الواسعة الأطراف . وعلى الفور أصدر قرار بعزل ابن شكر ، وعدم تسليم ابن الأعز إليه على أن ينفرد بالكتابة وحده ثم استدعاه الكامل ، وأمر أمير جاندار[٩٣] بجمع الدواوين وتسليمهم للأعز الذى شرع فى ممارسة سلطاته كوزير للدولة خلفا لابن شكر الذى أقاله العادل[٩٤] .

ويمكن القول أن الملك العادل كان مسئولا عما لحق بكبار موظفيه من إهانات وتجاوزات بسكوته وغضه البصر عما يفعله وزيره ابن شكر مما دفعه إلى المزيد من التجاوزات بالإضافة إلى ما ارتكبه من جرائم فى حق القاضى الفاضل ، وابن مماتى[٩٥] والقاضى الأعز فإنه لم يتورع عن مصادرة ابن حمدان ، وابن الحباب وابن الجليس ، وأكابر الكتاب والملك العادل لا يعرضه فى شىء حتى قيل أن ذلك كله برضاه وإرادته[٩٦] .

لقد كان ابن شكر بمثابة كابوس رهيب يجثم على أنفاس الموظفين ، لذلك لما عزل وكان قد منع الطبيب ، والوكيل وغيرهما من الدخول على العادل ، انبسطوا ، وحكوا ، وضحكوا ، فاستغرب السلطان لأنهم لم يتعودوا منهم ذلك فيما

مضى ، فعرفوه بأن خوفهم من ابن شكى هو الذى كان يدفعهم لذلك ، فاستشعر بأنه كمن كان فى سجن وهو لا يدرى[١٧].

استمر الوزير ابن شكر على سياسته التعسفية تجاه أصحاب الدواوين ورؤساء المصالح والكتاب فى دولة الكامل أيضا ، فلقد أوقع بالرؤساء وأصحاب البيوت حتى استأصل شأفتهم عن آخرهم ، ولعل فيما أقدم عليه لتعذيبه لمجموعة من شيوخ الكتاب ، ما يبرهن على صدقنا إذا عرض له إسهال دموى فى أحد الأيام أنهكه حتى انقطع نفسه ، وعجز الأطباء عن إيقافه ، فاستعدى من حبسه عشرة من وجوه الكتاب واتهمهم بالشماتة فيهم ، وركّب عليهم المعاصير فصاروا يصرخون من العذاب وهو يصيح من الألم طول الليل إلى أن أصبح وقد خف ما به[١٨].

كان صفى الدين يتخذ الرؤساء كلهم أعداؤه ولا يرضى لعدوه بدون الهلاك ، وكان من أكبر أغراضه إبادة أرباب البيوت ، ومحو آثارهم ، وهدم ديارهم . وبلغ من ترفعه أن الرؤساء كانوا يقفون على بابه من منتصف الليل حتى الصباح ومعهم المشاعل والشموع ، وعندما يركب فلا يراهم ولا يرونه لأنه إما أن يرفع رأسه إلى السماء تيها وإما أن يعرج إلى طريق غير التى هم بها ، وإما أن يأمر الشرطة أو الدرك التى فى ركابه بضرب الناس وطردهم من طريقه غير مبال أن الرجل قد وقف على بابه طول الليل إما من أوله وإما من منتصفه بغلمانه ودوابه فيطرد عنه ولا يراه . وفوق هذا وذاك كان له بواب اسمه سالم يأخذ أموال كثيرة من الناس ويهينهم إهانة مفرطة ، لدرجة أنه أصبح ذو مال وعقار ، وكان عليه أن يؤدى للصاحب لى كل يوم خمسة دنانير منها دينارات برسم الفقاع وثلاثة دنانير برسم الحلوى وكسوة غلمانه ونفقاته عليه أيضا.

لم يكتف ابن شكر باتباع هذه السياسة الجائرة بل إنه أبان وزارته قطع الأرزاق والتى كان مقدارها أربعمائة ألف دينار فى السنة ، وتنازع أرباب

الحوائج والأطماع ومن كان يخافه إلى بابه وملئوا طرقاته وهو يهينهم ولا يحفل بشيخ منهم وهو عالم . إنه كان إذا غضب على أحد كان لا يرتاح له بال إلا إذا محا أثاره من الوجود متمثلا بقول القائل :

إذا حقرت أمرا فاحذر عداوته من يزرع الشوك لم يحصد به عنبا[٩٩]

ومن الطبيعي أن يظهر من بين جميع أفراد المجتمع الأيوبي من يهاجم هذا الوزير المتعجرف القاسي وقد تصدى لهذه المهمة الصعبة شاعر اشتهر ببراعته في مجال النقد وهو ابن عنين وحسبه أنه هجا السلاطين الأيوبيين أنفسهم وبالتالي لم يسلم من ابن شكر ومما ورد في ذلك:

ضاع شعري وقل في الناس قدري

من وافى بباب اللئيم بن شكر

وفيه يقول أيضا :

ونعمة جاءت إلى سفلة أبطره الإثراء لما ثرا
فالناس من بغض له كلما مروا عليه لعنوا شاورا
تبا لمصر ولها دولة ما رفضت في الناس إلا خرا

وهناك شاعر آخر يبين لنا أن الخوف هو الدافع الذي حدا بالشعراء لمدح ابن شكر ، ولذلك وجدناه يتمنى أن يحييه الله حتى يصبح شاهد عيان على ذمه بعد موته وهو ما عبر عنه بقوله:

مدحتك ألسنة الثناء مخافة وتقارضت لك في الثناء الأحسن
أترى الزمان مؤخرا في مدتي حتى أعيش إلى انطلاق الألسن

وقيل أن عاش بعده وأطلق لسانه ، ثم تمنى أن لا يكون قد عاش إلى انطلاق الألسن[١٠٠].

ولود أن نشير أنه كان لشعراء عصره فيه أمداح طنانة مليحة إلى الغاية ، فممن امتدحه ابن الساعاتي[١٠١] ، وابن سناء[١٠٢] الملك ، وابن نبيه[١٠٣] وغيرهم ، والأمداح موجودة في دواوينهم[١٠٤] .

ورغم سياسة الإبادة التى انتهجها ابن شكر تجاه أعدائه وجدناه على النقيض من ذلك يقرب أرذال الناس وشرار الفقهاء مثل الجمال المصرى[١٠٥] ، الذى صار قاضى فى دمشق ، وابن كسا البلبسيى ، والمجد البهنسى[١٠٦] ،الذى وزر للأشراف . وكان هؤلاء وكان هؤلاء يجتمعون حوله ، ويوهمونه أنه أكتب من القاضى الفاضل ، وأبرع من الإمام مالك فى الفقه ، وأكمل فى الشعر من المتنبى وأبلغ من الوزير عون الدين بن هبيره فى محاضراته ، ويحلفون على ذلك بالطلاق وأغلظ الإيمان . ولم يكن فيه أهلية هذا لكنه كان من دهاة الرجال[١٠٧].

رابعا : علاقته بالمشايخ والعلماء:

مم يسترعى الانتباه فى علاقة ابن شكر بعلماء عصره أنه حاول أن يحرض عليهم الساسة أيضا وبالتالى استجلب عداوتهم ، فقد استغل الصاحب عدم حضور الفقيه ضياء بن الورق للسلام عليه وتهنئته بالوزارة وألب عليه السلطان العادل بحجة أن هذا الفقيه افسد عليه الأمور لأنه افتى بأن الحلف له وتوليه مسئولية الحكم فى مصر خلفا للمنصور محمد بن العزيز عثمان باطلة ، لذا صادره العادل ، واحتاط على أملاكه وأمر باعتقاله[١٠٨]. ٢٢

وأثناء وجود الوزير بن شكر بالشام كتب أهل مصر إليه يتهمون الحافظ عبد الغنى بن عبد الواحد المقدسي[١٠٩] لأنه افسد عقائد الناس وينكر التجسيم على رؤوس الأشهاد فأصدر أوامره إلى والى مصر بنفيه إلى المغرب فمات قبل وصول الكتاب فى يوم الاثنين ٢٣ من ربيع الأول سنة ٦٠٠ هـ / ١٢٠٣ م ويعقب ابن كثير على هذه الحادثة بقوله أن :" وكتب الله عز وجل ينفى الوزير إلى الشرق محل الزلازل والفتن والشر موقفاه على الأرض المقدسة جزاءا وفاقا"[١١٠].

لقد حاول ابن شكر أن يستأثر وحده بحب العادل ولذا عندما كان يشعر بأن أى شخص أخر سيحظى لديه كان سرعان ما يكيد له وهذا ما يحكى فى إبعاده

لشمس الدين ابن التبنى إلى بغداد لأنه كان له أيادى على الملك العادل عندما حوصر بدمشق حيث اقترض له أموال التجار وضمنها فرأى له العادل ذلك فأحبه وقربه وحسده الصفى بن شكر فأبعده بالرسالة لدار الخلافة .

وإذا كان جانب الشر هو المتغلب على شخصية الوزير ابن شكر فإنه مما لاشك فيه أنه كان يحمل بين جوانحه نزعة ولو محدودة إلى الخير شأنه فى ذلك شأن أى إنسان ، فلقد نشأ نشأة علمية ، وتفقه على مذهب الإمام مالك وبرع فيه ، وصنف كتابا فى الفقه أسماه البصائر كان كل من يحفظه ينال منه حظا واقرا[١١١] .

كذلك كان التواضع من الجوانب المشرقة فى حياة ابن شكر أيضا وكذلك حبه للعلم والعلماء فقد كان خليقا بالوزارة لم يتولها بعده مثله ، وكان متواضعا ، يسلم على الناس وهو راكب ، ويكرم العلماء ، ويدر عليهم[١١٢] .

لقد صرف ابن شكر جل عنايته إلى العلماء والفقهاء والفضلاء والأدباء وأحب من رغب فى هذا المجال نفق سوق العلم فى عهده ، وكثيرا ما عقدت المجالس العلمية فى حضور الوزير ابن شكر بقاعته الكائنة فى درب الشعارين بدمشق وكان العادل نفسه يتردد إليه ليشارك فى هذه الجلسات العلمية[١١٣] . ٢٣

وممن لزم خدمته من العلماء شيخ الأطباء مهذب الدين الدخوار بدمشق[١١٤] ، كما وجدناه يولى اهتماما كبيرا بالفقيه جمال المصرى فعينه مدرسا بالمدرسة الأمينية بدمشق قبل أن يسند إليه وكالة بيت المال[١١٥] .

هذا وقد أوردت لنا كتب التاريخ قصة تلك المناظرة العلمية التى دارت بين أبو خطاب بن دحية الكلبى[١١٦] وشيخ اللغة والحديث تاج الدين الكندى[١١٧] فى عشية ثالث عشر رجب سنة ٦٠٥ هـ/١٢٠٨ م والتى دارت حول موضوع الشفاعة بحضور ابن شكر والتى انتهت بتبادل السباب والشتائم بينهما[١١٨] .

ونتيجة لهذا العطف الذى أبداه ابن شكر تجاه بعض العلماء مدحه البعض منهم ففى أثناء عودته من الشرق فى طريقه إلى مصر سنة ٦١٥ هـ مر بدمشق

ونزل بظاهرها ببيت دانس فى دار المؤيد العقربانى فقرأ بها بهاء الدين بن أبى اليسر بين يديه مقامه فى مدحه من إنشاء الشيخ أبى الحسن البخارى سماها " محاورة الفقهاء ومحاضرة العلماء فى أوحد الكبراء وسيد الوزراء " وهى مقامة جليلة حسنة لفظا ومعنى[١١٩] .

خامسا : منشآت الوزير بن شكر :

يصف الذهبى الصاحب صفى الدين فيقول عنه : " كان يبالغ فى إقامة النواميس مع التواضع للعلماء ، ويتعانى الحشمة الضخمة والصدقات والصلات[١٢٠] " ، ولقد اثر ابن شكر قبل أن يرحل أن يشيد العديد من المنشآت التى تحمل اسمه وخلدت ذكره بين رجال التاريخ وقد امتدت جهوده فى هذا المجال بين مصر والشام ، ومن هذه المنشآت المدرسة الصاحبية بالقاهرة .

كان موضعها من جملة دار الوزير الفاطمى يعقوب بن كلس ومن جملة دار الديباج انشاها الوزير المذكور فى سنة ٦١٨هـ-١٢٢١م لتدريس المذهب المالكى ، وهو مذهب مؤسسها ثم جددت فى العصر المملوكى وأقيم فيها منبر فصار يصلى بها الجمعة والظاهر أن هذه المدرسة قد اندثرت واستولى على أرضها أصحاب الدور المجاورة لها ولم يبق من آثارها إلا بعض جدران قبة قديمة لعلها موضع القبة التى دفن تحتها الوزير بن كلس حيث ذكر المقريزى عند الكلام على حارة الوزيرية أن موضع قبر هذا الوزير بالمدرسة الصاحبية ويشغل مكان هذه المدرسة اليوم منزلان متجاوران البحرى منهما وقف الشيخ محمد ونس النقى رقم ٨ بشارع الوزير الصاحب المسمى خطأ باسم السلطان الصاحب وهذا الشارع هو الذى كان يعرف قديما باسم سويقة الصاحب وكان فيه باب المدرسة ، والقبلى منها هو منزل ورثة محمد أفندى على حلاوة رقم ٤ بزقاق سعادة بعطفة الست بيرم بشارع درب سعادة ، وفى داخل هذا المنزل توجد بقايا القبة السابق ذكرها .

ومن أشهر الفقهاء الذين تولوا التدريس بالمدرسة المذكورة الإمام شرف الدين أبو عبد الله محمد بن عمر بن محمد بن عمرو بن جعفر الأزدى ، الغساني ، المالكى ، المعروف بابن اللهيب ، وهو سليل أسرة اشتهر أفرادها بالخير والصلاح والفقه ولد سنة ٥٧١هـ – ١١٧٥م وتوفى فى الثامن من جمادى الآخرة سنة ٦٢٧هـ ١٢٣٠م وإبان وزارته أيضا تم تشييد مدرسة أخرى تسمى المدرة السيفية فى بداية حى سويقة الصاحب أنشأها سيف الإسلام طغتكين بن نجم الدين أيوب .

وبالقرب من مدرسة الصاحب ابن شكر بخط دار الديباج أو ما صار يعرف بسويقة الصاحب شيد الوزير المذكور حماما ورباطا مجاورين لمدرسته[١٢١] وقد تعطل هذا الحمام فترة من الزمن قبل أن يتم تجديده ويعود للعمل مرة ثانية فى عام ٨١٧هـ – ١٤١٤م أيام الملك المؤيد شيخ[١٢٢] ، وقد أشار السخاوى إلى أن حمام الصاحب أزيل وبنى على أنقاضه ما كان يعرف بحمام الثلاث[١٢٣] .

٢٥

وقد ترتب على وجود هذه المنشآت بسويقة الصاحب إلى ازدهارها وعمرانها وعلو منزلة من يسكن بها وهذه السويقة يسلك إليها من خط البندقانيين[١٢٤] ومن باب الخوخة[١٢٥] وغير ذلك وهى من الأسواق القديمة كانت فى الدولة الفاطمية تعرف بسويقة الوزير يعنى أبا الفرج يعقوب بن كلس وزير الخليفة الفاطمى العزيز بالله[١٢٦] الذى تنسب إليه حارة الوزيرية فإنها كانت على باب داره التى عرفت بعده فى الدولة الفاطمية بدار الديباج وصار موضعها الآن المدرسة الصاحبية ثم صارت تعرف بسويقة دار الديباج يعنى دار الطراز ، وقيل لذلك الموضع كله خط دار الديباج ، ثم عرف هذا السوق بالسوق الكبير فى أخربات الدولة الفاطمية فلما ولى ابن شكر مقاليد الوزارة سكن فى هذا الخط وأنشأ به مدرسته وأقام به أيضا رباطه وحمامه المجاورين لمدرسة المذكورة عرفت من حينئذ هذه السويقة بسويقة الصاحب ، واستمرت

تعرف بذلك إلى زمن المقريزى ، ولم تزل من الأسواق المعتبرة يوجد فيها معظم ما يحتاج الإنسان إليه من المأكل لأنه كان يقطنها الوزراء وأعيان الكتاب ثم أصابها ما أصاب الأسواق الأخرى من الاختلال نتيجة للمحن التى ألمت بالدولة المملوكية[١٢٧] .

كذلك ينبغى أن نشير إلى أن يد هذا الوزير امتدت بالإصلاح إلى بيوت الله فى الأرض وهى المساجد ، فقد ذكر ابن عبدالظاهر أن الصاحب ابن شكر بنى فسقية بوسط الجامع الذى شيده الحاكم بأمر الله [١٢٨]سنة ٣٩٣ هـ – ١٠٠٢م وأجرى بها الماء ، ولكن أزالها قاضى قضاة مصر بعد ذلك فى سنة ٦٦٠هـ – ١٢٦٢م[١٢٩] .

ولا ينبغى أن ننسى إصلاحات ابن شكر فى الشطر الثانى من دولة الأيوبيين ونعنى بذلك مملكة الشام ففى شهر شوال سنة ٦٠٧هـ – ١٢١٠م شرع فى عمارة مصلى ظاهر دمشق وتحضيره لأداء صلاة العيدين فتم تزويده بأربعة جدران بها أبواب لصونه من المارة ونزول القوافل ، وجعل فى قبلته محراب ومنبر من حجارة وعقدت فوق ذلك قبة وفى عام ٦١٣هـ – ١٢١٦م عمل فى قبلته رواقان واستبدل المنبر بآخر من خشب ، ورتب له خطيب وإمام راتبان ، بيد أن العادل مات ولم يكن قد تم الفراغ من الرواق الثانى وقد باشر الوزير ابن شكر كل ذلك بهمة ونشاط[١٣٠] . ٢٦

ومن مظاهر اهتمام ابن شكر أيضا بدور العبادة عنايته بالجامع الأموى بدمشق ففى شعبان سنة ٦٠٢هـ – ١٢٠٥ صدرت الأوامر بهدم القنطرة الرومانية والتى كانت موجودة عند الباب الشرقى ، ونشرت حجارتها ليبلط بها الجامع المشار إليه ، وقد تم الانتهاء من هذا العمل فى عام ٦٠٤هـ – ١٢٠٧ م[١٣١] .

لم يكتف بتبليط الجامع الأموى بل إنه جدد أبوابه الغربية من جهة باب البريد بالنحاس الأصفر وركبت وذلك فى الحادى عشر من شهر شوال

سنة ٦١٣هـ - ١٢١٦م . وبعد أيام قلائل من هذا العمل شرع فى إصلاح الفوارة بجيرون وعمل الشاذوران والبركة بساحتها واتخذ فيها مسجدا أول من عين فيه بأمر الصاحب الشيخ نفيس الدين المصرى الذى لقب ببوق الجامع لقوة وحسن صوته لذا كان يجتمع عليه الكثير من الناس حينما يقرأ القرآن[١٣٢] .

وبالإضافة إلى منشآته السابقة وما بذله من جهود فى هذا المضمار فينسب إليه أيضا أنه أصدر أوامره بتجديد مسجد مرستا وجامع المزة وغير ذلك[١٣٣] .

وإذا كان قد حدث خلاف بين المؤرخين حول سنة مولده فإنما نجد أن هذا الجدل يتكرر مرة أخرى حينما أرخوا لوفاته فيرى بعضهم أنه توفى سنة ٦٢٢هـ - ١٢٢٥م ومن هؤلاء الذهبى[١٣٤] وأبوشامة[١٣٥] وابن العماد[١٣٦] والمقريزى[١٣٧] وخالفهم ابن الجوزى الذى ذكره فى وفيات سنة ٦٣٠هـ - ١٢٣٢م[١٣٨] ووافقه ابن تغرى بردى على الرغم من أنه أشار إليه فى حوادث سنة ٦٢٢هـ - ١٢٢٥م فيمن نقل وفاتهم عن الذهبى ثم عاد وذكره فى وفيات سنة ٦٣٠هـ - ١٢٣٢م مرة أخرى[١٣٩] .

الخاتمة :

وبعد هذا العرض يتضح لنا أن الوزير ابن شكر رغم أنه ينحدر من أصول قروية بسيطة إلا أنه شاءت الأقدار أن يلمع في سماء نجم الدولة الأيوبية ويصبح أحد المسئولين الكبار فيها ، ووصل به الحال إلى أن أصبح سلطانه يعلو فوق سلطان العادل وولده الكامل وذلك لقوة شكيمته كما أنه أثر في مجريات التاريخ المصرى في ذلك العصر وبالذات حينما داهم الخطر الصليبي البلاد في الوقت الذى اشتد خطر العربان فساعد الكامل مساعدة جليلة للخلاص من هذا الموقف العصيب ، وبلغ من سطوته أن خافه أرباب الدواوين والكتاب والعلماء والأدباء فمنهم من آثر الفرار من مصر طلبا للنجاة ومنهم من تمكن منه فأباده وثمة فريق ظل بمصر وأخذ يتملقه .

ومن المثير للدهشة أن الصاحب ابن شكر نشأ نشأة طيبة وطلب العلم وتفقه فيه وكذلك صنف فيه أيضا ، ولكنه حينما اعتلى كرسى الوزارة أخذته العزة بالاسم فتجبر وتكبر وطغى على خلق الله فاختار المؤرخون ولذلك وصف البعض بالتواضع على حين وسمه الأخرون بالظلم والجبروت ومهما يكن من أمر ، ولعل ما خلف من أوزاره تلك المنشآت والعمائر سواء الدينية أو التعليمية التى شيدها أو أشرف على إصلاحها سواء بمصر أو الشام . ٢٨

وفى تقديرى الشخصى إن شخصية الصاحب الوزير ابن شكر شخصية فريدة تستحق هذا الاهتمام والاعتناء تأثرت وأثرت فى مجريات الأحداث وغيرت الكثير منها بل وساهمت فى صنعها وهو ما جعل منه شخصية ثرية خلدها المؤرخون فى كتبهم لتظل شامخة على مر الأزمان .

الحواشي

[١] صلاح الدين الأيوبي : هو صلاح الدين يوسف بن أيوب بن شاذي ، مؤسس الدولة الأيوبية بمصر والشام ، ولد بقلعة تكريت في شهور سنة ٥٣٢ هـ - ١١٣٧ م وتوفى بدمشق صباح يوم الأربعاء ٢٧ من صفر سنة ٥٨٩ هـ - ١١٩٣ م (ابن شداد " بهاء الدين أبو المحاسن يوسف بن رافع " : النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية أو سيرة صلاح الدين ص ٣١ ، ٣٦٤ ، تحقيق جمال الدين الشيال ، ط١ ، القاهرة ، ١٩٩٤ م .

[٢] هو الملك المعظم غياث الدين توران شاه ابن الصالح نجم الدين أيوب آخر سلاطين الدولة الأيوبية بمصر ، قتل بفارسكور سنة ٦٤٨ هـ - ١٢٥٠ م

[٣] العيني : (بدر الدين محمود بن أحمد) عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان ص٢٣-٢٨ حققه محمد محمد أمين ، الهيئة العامة للكتاب ١٩٨٧ .

[٤] القاضي الفاضل : هو عبد الرحيم بن علي محمد بن الحسن اللخمي ، ولد يوم الاثنين الخامس عشر من جمادى الآخر سنة ٥٢٩هـ - ١١٣٥م ، وتوفى سنة ٥٩٦هـ - ١٢٠٠م (موفق الدين بن الدبيثي : رسائل عن الحرب والسلام من ترسل القاضي الفاضل ص ٤-٥ تحقيق محمد نشأ ط٢ ، القاهرة ، ١٩٨٤م.

[٥] ابن الجوزي (يوسف بن قزاوغلي) مرآة الزمان في تاريخ الأعيان ٤٧٢/٢/٨ ، ط١ ، حيدرأباد الهند ١٩٥٢م ، ابن الدبيثي : المصدر السابق ص ٨ .

[٦] ابن شاكر الكتبي (محمد بن شاكر) : فوات الوفيات والذيل عليها ٢/ ١٩٥ تحقيق احسان عباس بيروت ١٩٧٤م ، الذهبي (محمد بن أحمد) تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ص٩٩ حققه بشار عواد وآخرون ط١ مؤسسة الرسالة ١٩٨٨م ، المقريزي (أحمد بن علي) الموعظ والإعتبار بذكر الخطط والآثار ٢/ ٣٧١ط٢ مكتبة الثقافة الدينية القاهرة ١٩٨٧م.

[٧] أحمد بن شكر : هو أحمد بن شكر بن محمود بن يعقوب اللخمي وكان ناظر الدواوين في أيام الناصر صلاح الدين وولده العزيز عثمان وتوفى في ثغر الإسكندرية سنة ٦٠١هـ/١٢٠٤م (النويري (أحمد بن عبدالوهاب) : نهاية الأرب في فنون الأدب ٣٩/٢٩ تحقيق محمد ضياء الدين الريس الهيئة العامة للكتاب ١٩٩٢ طمش ٣ .

[٨] نهاية الأرب ١٣٠/٢٩.

[٩] الخطط ٣٧١/٢ .

[١٠] محمد رمزى : القاموس الجغرافى للبلاد المصرية ٨٦/٢ الهيئة العامة للكتاب ١٩٥٨م .

[١١] النويرى نهاية الأرب ١٣٠/٢٩، الكتبى : فوات الوفيات ١٩٣/٢ .

[١٢] الذيل على الروضتين : ص١٤٧ ط٢ تحقيق السيد الحسينى دار الجيل بيروت ١٩٩٤ .

[١٣] البداية والنهاية ٧٥/١٢ تحقيق محمد عبدالعزيز النجار النجار ط١ ، دار الغد العربى ١٩٩١ .

[١٤] السلفى : هو الحافظ أبو الطاهر أحمد بن محمد بن الأصبهانى . رحل فى طلب الحديث وكتب تعاليق وأمالى كثيرة ، توفى بالإسكندرية ٥٧٦هـ/١١٨٠م(حسن عبدالحميد صالح) الحافظ أبوالطاهر السلفى : ص ١٦ المكتب الإسلامى / ط١ دمشق ، ١٩٧٤ .

[١٥] ابن برى : هو عبدالله بن برى بن عبدالجبار النحوى اللغوى المصرى المولد والمنشأ المقدسى الأصل ، قرأ العربية على مشايخ زمانه من المصريين والقادمين على مصر ، وحصل له من ذلك ما لم يحصل لغيره ، توفى سنة ٥٨٢هـ-١١٨٥م (القفطى) (جمال الدين أبوالحسن على) : إنباه الرواة بانباه النحاة ١١٠/٢تحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم ط١ ، دار الكتب المصرية ١٩٥٠ .

[١٦] الذهبى : تاريخ الإسلام ص ١٠٠ . ٣٠

[١٧] المنذرى : هو الإمام الحافظ زكى الدين أبومحمد عبدالعظيم بن عبدالقوى بن عبدالله بن سلامة بن سعد بن سعيد الدمشقى ثم المصرى الشافعى ولد سنة ٥٨١هـ/١١٨٥م ، وتوفى سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٨م(ابن تغرى بردى (جمال الدين يوسف) المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى ٣٠٩٠/٧-٣١١ حققه محمد محمد أمين ، الهيئة العامة للكتاب ١٩٩٤ .

[١٨] الشهاب القوصى : هو إسماعيل بن حامد بن عبدالرحمن ، كتب عنه جماعة كثيرة من أهل العلم والأدب ، وجمع لنفسه معجما يشتمل على أربع مجلدات ، توفى بدمشق ليلة الاثنين ١٧ من ربيع الأول سنة٦٥٣هـ-١٢٥٥م . (الأنطوى جعفر بن ثعلب) الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء الصعيد ص ١٥٨ تحقيق سعد محمد حسن ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦٦ .

[١٩] التكملة لوفيات النقلة ٣/ ٢٠٦١م تحقيق بشار عواد بغداد ١٩٧١م .

[٢٠] الذهبى : تاريخ الإسلام ص ١٠٠

[٢١] أبوشامة : الذيل على الروضتين ص ١٤٧ .

[٢٧] الإفادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر ص١٢٢ تحقيق أحمد غسان سبانو ط١ ، دمشق ١٩٨٣م .

[٢٨] النويري : نهاية الأرب ١٣٠/٢٩

[٢٩] خط دار الديباج : يقع هذا الحي بين خط البندقانيين والوزيرية ، وعرف أولا بخط دار الديباج لأن دار الوزير يعقوب بن كلس كان ينسج فيها الديباج والحرير برسم الخلفاء الفاطميين وصارت تعرف بدار الديباج فنسب إليها هذا الحي. (المقريزي : الخطط ٣٢/٢) .

[٣٠] المقريزي : المصدر السابق ٣٢/٢ ، (السخاوي علي بن أحمد) تحفة الأحباب وبغية الطلاب في الخطط والمزارات والتراجم والبقاع المباركات ص ٦٧ صححه نفيف من العلماء ط٢ مكتبة الكليات الأزهرية القاهرة ٨٦ ؛علي مبارك: الخطط التوفيقية الجديدة لمصر والقاهرة ٤٦/١ ط٢ الهيئة العامة للكتاب ١٩٩٤.

[٣١] الخطط ٢٢٣/٢ .

[٣٢] المقريزي : المصدر السابق ٢٢٣/٢ .

[٣٣] المقريزي : نفسه ٣٧١/٢ ، الزركلي : الأعلام ١٠٥/٤-١٠٦ ط١٠ دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٩٢ .

[٣٤] ياقوت (شهاب الدين أبوعبدالله الرومي) : معجم الأدباء ١١١/٦ مطبوعات دار المأمون ، مكتبة عيسى البابي الحلبي د.ت.

[٣٥] النويري : المصدر السابق ٥٥/٢٩ ، سالم شلقامي : أهل الذمة في مصر في العصرين الفاطمي الثاني والعصر الأيوبي ص ٦٥ دار المعارف ١٩٨٢ .

[٣٦] الأفضل علي : هو علي بن يوسف بن أيوب ، كان من محاسن الزمان خيرا عادلا فاضلا كريما حليما، حسن الإنشاء لم يكن في الملوك مثله ، توفي فجأة بقلعة سميساط سنة ٦٢٢هـ-١٢٢٥م . (ابن الأثير) علي بن محمد : الكامل في التاريخ ٤٤٥/١٠ راجعه محمد يوسف الدقاق ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،١٩٨٧ .

[٣٧] النويري : نهاية الأرب ١١/٢٩-١٢ .

[٣٨] الحنبلي (أحمد بن ابراهيم) : شفاء القلوب في مناقب بني أيوب ، تحقيق مديحة الشرقاوي ص ٢٠٦ مكتبة الثقافة الدينية ص ٩٦ ، ابن كثير : البداية والنهاية ، ٩١٧/١٢ ؛

٣١

أبوالمحاسن : النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ١٥١/٦ ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر .

[٣١] ابن الجوزى : مرآة الزمان ٤٧٠/٨/٢ .

[٣٢] الخطط : ٣٧١/٢ .

[٣٣] وظيفة من وظائف أرباب السيوف ، تطلق على الشخص الذى يبلغ الأخبار من الرعية إلى الإمام . ويأخذ لهم الإذن منه . وسمى بذلك لأنه يحجب الخليفة أو الملك عمن يدخل إليه بغير إذن . (القلقشندى أحمد بن على) : صبح الأعشى فى صناعة الإنشا ٤٩٤/٥-٤٥٠ ، المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة ، السبكى (تاج الدين عبدالوهاب) : معيد النعم ومبيد النقم ، ص٤٠ ، تحقيق محمد على النجار وآخرون ، ط٢ ، مكتبة الخانجى ، القاهرة ، ١٩٩٣ .

[٣٤] الذهبى : تاريخ الإسلام ، ص١٠١ ، البغدادى : الإفادة والاعتبار ص١٢٢ .

[٣٥] الكتبى : فوات الوفيات ١٩٤/٢ .

[٣٦] المقريزى : الخطط ٣٧١/٢ ، النويرى : المصدر السابق ، ٥٥/٢٩-٥٦ .

[٣٧] عيسى : هو الملك المعظم شرف الدين عيسى بن العادل بن أيوب ، ولد بالقاهرة سنة ٥٧٦هـ-١١٨٠م وتوفى بدمشق سنة ٦٢٤هـ-١٢٢٧م . ابن أيبك (أبوبكر عبدالله) : كنز الدرر وجامع الغرر ٢٨٧/٧ ، تحقيق سعيد عبدالفتاح عاشور ، القاهرة ١٩٧٣ . ٣٢

[٣٨] موسى : ولد بالقاهرة ، وقيل بالكرك سنة ٥٧٨هـ-١١٨٢م وتوفى بدمشق سنة ٦٣٥هـ-١٢٣٧م ، ملك الرها وحران وسنجار والخابور وغيرها من بلاد الشرق ومن آثاره دار الحديث الأشرفية بسنح قاسيون . ابن الوردى (زين الدين بن عمر) : تتمة المختصر فى أخبار البشر ، ٢٣٧/٢ ، المطبعة الحيدرية النجف ١٩٦٩ .

[٣٩] أبوشامة : الذيل على الروضتين ، ص ٦٣ ، الحنبلى : شفاء القلوب ، ص ٦١٤ ؛ ابن كثير : المصدر السابق ، ١٤٩/١٢ ؛ أبوالمحاسن : النجوم الزاهرة ١٦٥/٦-١٦٦ ؛ سحر السيد سالم : العراليون فى مصر فى القرن السابع الهجرى ، ص٥ ، مطبعة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، ١٩٩١ .

[٤٠] هو الخليفة العباسى محمد بن الناصر بن المستضىء ، بويع بعد وفاة أبيه سنة ٦٢٢هـ-١٢٢٥م . كان مستقيما محبا للخير حسن السيرة ، توفى سنة ٦٢٣هـ-١٢٢٦ م .(الزركلى : الأعلام ٣٢٠/٥) .

[٤٤] النويري : نهاية الأرب ٢٩/١٣٥ .

[٤٥] سنجار : مدينة مشهورة بأرض الجزيرة ، لها قلعة حصينة وتواح كثيرة ، بينها وبين الموصل ثلاثة أيام . ياقوت : المشترك وضعا والمفترق صقعا ص ٢٥٤ ، ط٢ ، عالم الكتب بيروت ١٩٨٦ .

[٤٦] ابن العميد (المكين بن جرجس) : أخبار الأيوبيين ص٥ ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، السيوطي(جلال الدين عبدالرحمن) : حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة ، ١٣٨/٢ ، مطبعة الموسوعات ، القاهرة ١٣٢١هـ ، النويري : المصدر السابق ، ٥٩/٢٩ .

[٤٧] النويري : نفسه ٧٦/٢٩ ، ابن العميد : المصدر السابق ، ص٦

[٤٨] مجير الدين : هو مجير الدين يعقوب بن العادل بن أيوب ، توفي يوم الأربعاء السادس عشر من ذو القعدة ٦٥٤هـ – ١٢٥٦م ودفن بمقبرة والده بالمدرسة العادلية بدمشق (العيني ، محمد بن أحمد) : عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان ، ص٣٥ ، تحقيق محمد محمد أمين ، الهيئة العامة للكتاب ص٨٧ .

[٤٩] النويري : نهاية الأرب ٧٦/٢٩ .

[٥٠] أبوشامة : الذيل على الروضتين ، ص٨١ .

[٥١] الكتبي : فوات الوفيات ، ١٩٤/٢ .

[٥٢] أمد:إحدى مدن ديار بكر(الجزيرة) تقع على نهر دجلة . (النويري : المصدر السابق ، ٧٧/٢٩ هـ ١) .

[٥٣] الكسوة : هي أول قرية تنزلها القوافل إذا خرجت من دمشق إلى مصر .(ياقوت : معجم البلدان ، م٢٥٢/٧ ، ط١ ، مطبعة السعادة ، القاهرة ١٩٠٦) .

[٥٤] الغوطة : هي إقليم كبير من أعظم مدن دمشق ، استدارتها ثمانية عشر ميلا يحيط بها جبال عالية من جميع الجهات ، كلها أشجار وأنهار متصلة . (ياقوت : المصدر السابق ، م٥ /٢١٤) .

[٥٥] القصير : هناك أكثر من موضع بهذا الاسم منها قصير معين الدين بالغور من أعمال الأردن ، كما أن هناك موضع آخر هو أول منزل لمن يزيد حمص من دمشق . (ياقوت : نفسه ، م١١٥/٧)

[٣٦] سلمية : مدينة من أعمال حماة . بها المعاريب السبعة ، يقال تحتها قبور من التابعين (الهروى ، على ابن أبى بكر) : الإشارات إلى معرفة الزيارات ، ص٨ ، حققه جانين سورديل – طومين ، دمشق ٥٣ .

[٣٧] أبو شامة : المصدر السابق ، ص١١٥ .

[٣٨] ابن العميد : المصدر السابق ، ص١٠ .

[٣٩] الفائز : هو ابراهيم بن العاضد بن أيوب . أقام فى مصر مدة ، وكان قد انتظم له أمر الملك لولا أن الكامل تدارك ذلك وبعثه إلى أخيه الأشرف بالموصل يستنجده ، فأدركه أجله بسنجار سنة ٦١٧هـ-١٢٢٠م .(ابن واصل ، جمال الدين محمد بن سالم) : مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب ١٨/٤ ، حققه حسنين ربيع ، مطبعة دار الكتب ١٩٧٢ .

[٤٠] ابن العميد : أخبار الأيوبيين ، ص١١ ، ابن الجوزى : مرآة الزمان ٦٧٧/٨/٢ ؛ المقريزى : الخطط ٣٧٢/٢ .

[٤١] النويرى : المصدر السابق ٩٢/٢٩ .

[٤٢] المقريزى : المصدر السابق ٣٧٢/٢ .

[٤٣] المقريزى : نفسه ٣٧٢/٢-٣٧٣ . ٢٤

[٤٤] الملك المسعود : هو يوسف بن الكامل محمد بن العادل ، ملك اليمن سنة ٦١٢هـ-١٢١٥م ، وكان جبارا . قيل أنه قتل باليمن ثمانمائة شريف ، ومات سنة ٦٢٦هـ-١٢٢٩م ، ودفن بمكة ، وسر والده بموته لأنه كان يخاف منه على أخوته .(أبوالمحاسن) : النجوم الزاهرة ٢٧٢/٦ .

[٤٥] الحنبلى : شفاء القلوب ، ص٣٢٥

[٤٦] جمع القوانين المضية فى دواوين الديار المصرية ص تحقيق كاوتكاهن مكتبة الثقافة الدينية القاهرة .

[٤٧] البغدادي : الإفادة والاعتبار ص ١٢٣ ، الذهبي : تاريخ الإسلام ص ١٠٢ – ١٠٣ .

[٤٨] تتمة المختصر ٢٣٨/٢ .

[٤٩] شفاء القلوب ص ٣٠ .

[٥٠] الموقع : يطلق لفظ الموقعين على كتاب الدرج وهو الذي يكتب المكاتبات والولايات وغيرها في الغالب وربما شاركه في ذلك كتاب الدست . (القلقشندي ٤٦٥/٥) .

[٥١] المقريزي : السلوك ٢٢٠/١/١ .

[٢٢] الجزيرة : بلدة قديمة في أعالي نهر دجلة . (رحلة بنيامين ص ١٢٦ ترجمة عزرا حداد ط١ ، بغداد ١٩٤٥).

[٢٣] ديار بكر : هي بلاد كبيرة واسعة تنسب إلي بكر بن وائل تقع غرب دجلة إلي بلاد الجبل المطل على نصيبين . (ياقوت : معجم البلدان م ١١٧/٣) .

[٢٤] حران : من بلاد المشرق ، وهي مدينة مشهورة كانت قصبة ديار مضر ، تقع في الجزيرة بشمال العراق . (ياقوت : معجم البلدان م ٢٤٢/٣ ، المشترك ص ٢٤) .

[٢٥] ابن العديم : أخبار الأيوبيين ص ٢٢ ، النويري : نهاية الأرب ١٤٨/٢٩، ٢١٠ .

[٢٦] ابن العديم :المصدر السابق ص ١٣ ، ٢٢ .

[٢٧] النويري : المصدر السابق ٥٥/٢٩ ــ ٥٦ .

[٢٨] باب النصر : نقله أمير الجيوش بدر الجمالي وزير المستنصر من موضعه القديم حيث وضعه جوهر الصقلي حينما شرع في تعمير سور القاهرة بحيث صار قريبا من مصلى العيد ، وزوده بالشورة ، وكتب عليه في أعلاه : "لا إله الا الله محمد رسول الله علي ولي الله صلوات الله عليهما" (المقريزي : الخطط ٣٨١/١ ، ابن عبد الظاهر (محي الدين أبو الفضل) : الروضة البهية الزاهرة في خطط المعزية القاهرة ، ص ١٦-١٨ ، تحقيق أيمن فؤاد سيد ، ط١ ، الدار المصرية للكتاب ١٩٩٦ .

[٢٩] باب زويله : بناه الوزير بدر الجمالي سنة ٤٨٥ هـ - ١٠٩٢ م ولكن بدون بالشورة ، لكنه عمل في بابه زلاقة كبيرة من حجارة صوان لكي لا تثبت قوائم الخيول التي تهاجم القاهرة فلما مر الكامل من هناك اختل فرسه فأمر بنقضها . (المقريزي : المصدر السابق ٣٨٠/١) .

[٣٠] ابن الأثير : الكامل ٢٦٥/١٠ ، أبو شامة : الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية ٢٤٤/٢ دار الجيل بيروت ؛ ابن الجوزي : مرآة الزمان ٤٧٢٠/٨/٢ــ ٤٧٣ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية، ٩٢٠/١٢- ٩٢٢ .

[٣١] القاضي الأشرف: هو بهاء الدين أبو العباس أحمد بن القاضي الفاضل ، عرض عليه الكامل الوزارة فأباها ، وأصبح يقوم بمهمة السفير لبغداد ، وكان صالحا عفيفا سمع الحديث واسمعه ، مات سنة ٦٤٣هـ- ١٢٤٥ م . (أبو المحاسن : المنهل الصافي ٣٣٦/١ تحقيق محمد أمين ، الهيئة العامة للكتاب ١٩٨٥ م .

[٣٢] البغدادي : الإفادة والاعتبار ص١٢٢- ١٢٣ ، الذهبي : تاريخ الإسلام ص١٠٣ .

[٤٣] ابن العديم : أخبار الأيوبيين ص ٩.

[٤٤] الكتبي : فوات الوفيات ، ١٩٥/٢ .

[٤٥] ابن العديم : أخبار الأيوبيين ص ٩ ، النويري : نهاية الأرب ، ٤٣٩/٢٩ ، المقريزي: الخطط ٣٧٢/٢ .

[٤٦] ابن مماتي : هو أسعد بن المهذب بن أبي مليح ، أصله من نصاري أسيوط ، ثم قدموا مصر وخدموا وتقدموا وولوا الولايات ، حتى صار ناظرا للدواوين أيام صلاح الدين وولده العزيز عثمان ، وله العديد من المؤلفات ، توفي بحلب سنة ٦٠٦ هـ - ١٢٠٩ م . ابن خلكان (أحمد بن محمد) : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ٢١٠/١ ، تحقيق إحسان عباس ، دار الثقافة بيروت ١٩٧٨ ، ياقوت : معجم الأدباء (١١٤/٢ - ١١٥) ؛ السيوطي : حسن المحاضرة ٢٧٠/١ .

[٤٧] ابن مماتي : قوانين الدواوين ص ١٥ ، ٢٦ ، تحقيق عزيز سوريال عطية ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ١٩٩١ م ، ياقوت : معجم الأدباء (١١٥/٢ - ١١٦) ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ٢١٢/١ ؛ ابن سعيد (علي بن موسي) : النجوم الزاهرة في حلي حضرة القاهرة ص ١٧٢ ، تحقيق حسين نصار ، دار الكتب ١٩٧٠ م ؛ المقريزي : الخطط ١٦٠/٢- ١٦١ ، السلوك ١٦٥/١/١ حققه محمد مصطفي زيادة ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٣٤ م . ٣٦

[٤٨] الظاهر غازي : هو غازي بن السلطان صلاح الدين الأيوبي ، صاحب حلب وكان في أول ملكه بحلب عنده إقدام علي القتل ، إلا أنه عدل عن ذلك في آخر أيامه . وكان شهما ، حسن السيرة ، توفي سنة ٦١٣ هـ/ ١٢١٦ م . ابن الفرات (محمد بن عبد الرحيم) : تاريخ الدول والملوك م ١٩٥/٥ ، حققه حسن محمد الشماع ١٩٧٠ م .

[٤٩] ابن مماتي : المصدر السابق ص ١٥ ، ابن العماد (أبو الفلاح عبد الحي) : شذرات الذهب في أخبار من ذهب ٢٠/٥ ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، سالم شافعي : أهل الذمة ص ٩٢ .

[٥٠] النويري : نهاية الأدب ٥٦/٢٩ - ٥٧ .

[٥١] المناشير : جمع مفرده منشور وهو عبارة عن أمر يصدر عن ديوان الجيش بمنح إقطاع أو تحويله أو بإعادته ، أو بزيادته ، وكان يحرر بترتيب خاص تبعا لفئات رجال الدولة .

(القلقشندي : صبح الأعشى ١٥٨/١٣ ، لحمد السعيد سليمان : تأصيل ما ورد في تاريخ الجبرتي من الدخيل ص ١٨٣ ، دار المعارف) .

[٩٦] النويري : نهاية الأدب ٥٨/٢٩ .

[٩٧] أمير جاندار : هو لقب يطلق على الشخص الذي يحافظ على حياة السلطان فلا يدخل عليه إلا من يأمن عاقبته (القلقشندي : المصدر السابق ٤٦١/٥) .

[٩٨] النويري : المصدر السابق ٥٨/٢٩ ـ ٥٩ .

[٩٩] القفطي : إنباه الرواة ٢٣٢/١ .

[١٠٠] ابن العميد : المصدر السابق ص ٩- ١٠ ، المقريزي : الخطط ٢٧٢/٢ .

[١٠١] البغدادي : الإفادة والاعتبار ص ١٢٢ ، الذهبي : تاريخ الإسلام ص ١٠١ .

[١٠٢] البغدادي : المصدر السابق ص ١٢٣ ، الذهبي : المصدر السابق ص ١٠٣ .

[١٠٣] المقريزي : الخطط ٢٧٢/٢ ــ ٢٧٣ .

[١٠٤] الكتبي : فوات الوفيات ١٩٤/٢ ــ ١٩٥ .

[١٠٥] ابن الساعاتي : هو بهاء الدين علي بن محمد بن رستم الدمشقي ، المتوفى سنة ٦٠٤ هـ / ١٢٠٨ م ، وصاحب الديوان المطبوع بدمشق . وكان أبوه يعمل الساعات بدمشق ، فبرع هو في الشعر ومدح الملوك ، وتعاني الجندية ، وسكن مصر . (الذهبي : تاريخ الإسلام ١٧١/١٨ ، الزركلي : الأعلام ٣٣٠/٤) . ـ ٣٧

[١٠٦] ابن سناء الملك : هو القاضي السعيد أبو القاسم هبة الله بن جعفر بن المعتمد ، كان وافر السعادة محظوظا من الدنيا ، له ديوان جميعه موشحات سماه الطراز ، وجمع شيئا من الرسائل الدائرة بينه وبين القاضي الفاضل وفيه كل معنى مليح (ابن خلكان : وفيات الأعيان ٦١/٦ ــ ٦٢) .

[١٠٧] ابن النبيه : هو أبو الحسن كمال الدين علي بن محمد بن الحسن ، شاعر ، منشئ ، من أهل مصر ، مدح الأيوبيين ، وتولى ديوان الإنشاء للأشرف موسى . ورحل إلى نصيبين فسكنها ، وتوفي بها سنة ٦١٩ هـ / ١٢٢٢ م . (السيوطي : حسن المحاضرة ٢٧١/١) .

[١٠٨] الكتبي : فوات الوفيات ١٩٥/٢ ــ ١٩٦ ، ابن سعيد : النجوم الزاهرة ص ٢٧٤ ، سعيد عاشور : مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك ص ١٢٥ ، دار النهضة العربية .

[١٠٥] الجمال المصري : هو يونس بن بدران ، كان وكيل بيت المال في أيام الملك العادل ، فلما مات جعله المعظم عيسى قاضي القضاة بدمشق ، وكان فاضلاً ورعاً ، توفي سنة ٦٢٣ هـ / ١٢٢٦ م . (ابن الجوزي : مرآة الزمان ٦٤٣/٨/٢)

[١٠٦] المجد الدهنسي : هو أبو الأشبال الحارث بن مهلب بن بركات ، وزير من الكتاب الشعراء مصري الأصل ، سافر إلى الشام وغيرها . استكتبه الديوان العزيز إلى ملوك النواحي واستوزره الأشرف موسى ثم عزله وصادره وحبسه مدة . وتوفي بدمشق عن نيف وسبعين عاماً سنة ٦٢٨ / ١٢٣٠ م (ابن كثير : البداية والنهاية ١٥١/١٣ تحقيق أحمد عبد الوهاب ط٥ دار الحديث القاهرة ١٩٨٩ ، الزركلي : المرجع السابق ١٥٨/٢ ، ابن الجوزي المرجع السابق ٦٧١/٨/٢) .

[١٠٧] البغدادي : الإفادة والاعتبار ص ١٢٢ ، الذهبي : تاريخ الإسلام ص ١٠١ ، المقريزي : الخطط ٣٧٣/٢ .

[١٠٨] ابن عبد الظاهر الروضة ص ٩١- ٩٢ ، المقريزي : الخطط ٣٧٣/٢ – ٣٧٤ .

[١٠٩] عبد الواحد المقدسي : هو عبد الغني بن عبد الواحد بن علي بن سرور ، ولد بجماعيل قرية من أعمال نابلس سنة ٥٤١ هـ / ١١٤٦ م ، قرأ القرآن ، وسمع الحديث الكثير ، وسافر إلى الأمصار ، وكتب الكثير من الكتب ، وكان أوحد زمانه في علم الحديث . توفي بمصر سنة ٦٠٠ هـ / ١٢٠٣ م (ابن الجوزي : مرآة الزمان ٥١٩/٨/٢ ، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ١٨٥/٦) .

[١١٠] البداية والنهاية ٢١/١٢ .

[١١١] المقريزي : الخطط ٣٧١/٢ .

[١١٢] الذهبي : تاريخ الإسلام ص ١٠٠ .

[١١٣] ابن الجوزي : مرآة الزمان ٦١٨/٨/٢ ، ٦٧٧ .

[١١٤] الكتبي : المصدر السابق ٣١٥/٢ – ٣١٦ .

[١١٥] أبو شامة : المصدر السابق ص ١٤٨ ، ابن كثير : المصدر السابق ٨١/١٢- ٨٢ .

[١١٦] ابن دحية الكلبي : هو أبو الخطاب عمر بن الحسن المغربي المحدث ، وكان في المحدثين مثل ابن عنين في الشعراء يثلب علماء المسلمين ويقع في أئمة الدين ، وتزيد في كلامه فترك الناس الرواية عنه وكذبوه . وكان الكامل مقبلاً عليه فلما انكشف حاله أعرض عنه وأخذ منه دار الحديث وأهانه فتوفي في ربيع الأول بالقاهرة ودفن بقرافة مصر

٣٨

سنة ٦٣٣ هـ / ١٢٣٦ م (ابن الجوزي : المصدر السابق ٦٩٨/٨/٢ ، السيوطي : حسن المحاضرة ١٦٦/١ ، الزركلي : الأعلام ٤٤/٥) .

[١١٧] الكندي : هو زيد بن الحسن ، ولد ونشأ ببغداد سنة ٥٢٠ هـ / ١١٢٦ م ، وسافر إلى حلب وسكن دمشق وقصده الناس يقرأون عليه . وكان الملك المعظم عيسى يقرأ عليه دائما سيبويه متنا وشرحا ، وتوفي سنة ٦١٣ هـ / ١٢١٧ م (تاريخ ابن الوردي ١٩٢/٢ ، الزركلي : المرجع السابق ٥٧/٣) .

[١١٨] ابن الجوزي : مرآة الزمان ٨١٢ / ٦٩٨ ، أبو شامة : الذيل على الروضتين ص ٦٥ ، البداية والنهاية ٥/١٢ ؛ ابن العماد : شذرات الذهب ١٦٠/٥ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

[١١٩] أبو شامة : المصدر السابق ص١١٤-١١٥ ، ابن الجوزي : المصدر السابق ٥٩٨/٢ ؛ ابن كثير : المصدر السابق ٤١/١٢ — ٤٢ .

[١٢٠] العبر في أخبار من غبر ١٨٧/٣ ، حققه محمد السعيد زغلول ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

[١٢١] المقريزي : الخطط ٨١/٢ ، ١٠٤ .

[١٢٢] المؤيد شيخ : هو الملك المؤيد شيخ ابن عبد الله المحمودي الظاهري . الرابع من ملوك الجراكسة . وكان له صبر وإقدام على الحروب ، كما كان يحب أهل العلم ويجالسهم ، عمر عدة أماكن منها الجامع المؤيدي ، وتوفي سنة ٨٢٤ هـ / ١٤٢١ م . السخاوي (محمد بن عبد الرحمن) : الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ٣٠٨/٣ ، دار الجيل ، بيروت ، أبو المحاسن : المنهل الصافي ٢٦٣/٦ ، المقريزي : السلوك ٥٥٠/١/٤ ، الصرفي (علي بن داود) : نزهة النفوس والأبدان في تواريخ أهل الزمان ٤٨٧/٢ ، تحقيق حسن حبشي ، مطبعة دار الكتب ١٩٧١ م) .

[١٢٣] تحفة الأحباب ص ٦٨ هـ ١ .

[١٢٤] خط البندقانيين : هذا الخط كان قديما اصطبل الجميزة أحد اصطبلات الخلفاء الفاطميين ، ثم اختط بعد زوالها وصارت فيه مساكن وأسواق ، وكان من جملتها عدة دكاكين لعمل قسي البندق فعرف الحي بالبندقانيين لهذا السبب (المقريزي : الخطط ٣١/٢) .

[١٢٥] باب خوخة : هو احد أبواب القاهرة مما يلي الخليج في حد القاهرة البحري ، يسلك إليه من سويقة الصاحب ومن سويقة المسعودي ، ويخرج منه إلى الخليج الكبير . (المقريزي : المصدر السابق ٢/٤٥ ، ابن عبد الظاهر : الروضة البهية ص ٩٧ – ٩٨) .

[١٢٦] العزيز بالله : هو أبو المنصور نزار بن المعز ، ولد بالمهدية يوم الخميس ١٤ من المحرم سنة ٣٤٤ هـ / ٩٧٥ م ، وتوفي وهو مبرز ببلبيس بعد الظهر من يوم الثلاثاء الثامن والعشرين من شهر رمضان سنة ٣٨٦ هـ / ٩٩٦ م . وفي زمنه بني قصر البحر ، وقصر الذهب ، وجامع القرافة . ابن ميسر (محمد بن علي) : المنتقى من أخبار مصر ص ١٦٨ – ١٦٩ ، حققه أيمن فؤاد سيد ، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة .

[١٢٧] المقريزي : الخطط ٢/١٠٤ .

[١٢٨] الجامع الأنور : بني هذا الجامع خارج باب الفتوح أحد أبواب القاهرة ، وأول من أسسه العزيز بالله سنة ٣٨٠ هـ / ٩٩٠ م ، ثم أكمله ابنه الحاكم بأمر الله سنة ٣٩٣ هـ / ١٠٠٣ م ، فلما وسع بدر الجمالي القاهرة صار جامع الحاكم داخل القاهرة (المقريزي : المصدر السابق ٢/٢٧٧ ، ابن عبد الظاهر : الروضة البهية ص ٦٨ ، أيمن فؤاد سيد : الدولة الفاطمية في مصر ص ١٠٠ ، ط١ ، الدار المصرية اللبنانية ١٩٩٢ م). ٤٠

[١٢٩] الروضة البهية ص ٦٩ ، المقريزي : نفسه ٢/٢٧٨ .

[١٣٠] ابن كثير : البداية والنهاية ١٢/٢٣ ، النويري : المصدر السابق ٢٩/ ٥٢ .

[١٣١] ابن كثير : نفس المرجع ١٢/٩٤٢ .

[١٣٢] أبو شامة : الذيل على الروضتين ص ٧٦ ، ١١٤ ، النويري : المصدر السابق ٢٩/ ٥٣ .

[١٣٣] أبو شامة : : المصدر السابق ص ١٤٧ .

[١٣٤] تاريخ الإسلام ص ٩٩ ، العبر ٣ / ١٨٧ .

[١٣٥] الذيل على الروضتين ص ١١٤- ١١٥ ، ١٤٧ .

[١٣٦] شذرات الذهب ٥ / ١٠٠ .

[١٣٧] السلوك ١/ ١ / ٢١٩ .

[١٣٨] مرآة الزمان ٨/٢ / ٦٧٧ .

[١٣٩] النجوم الزاهرة ٦ / ٢٦٣ ، ٢٨٠ .

قائمة المصادر والمراجع

١ – ابن الأثير (أبو الحسن علي بن محمد ت ٦٣٠هـ-١٢١٣م) : الكامل في التاريخ جـ ١٠ راجعه محمد يوسف الدقاق ط١ دار الكتب العلمية بيروت ١٩٨٧ .

٢ – احمد السعيد سليمان : تأصيل ما ورد في تاريخ الجبرتي من الدخيل – دار المعارف.

٣ – الأنفوي (بختص من تكلب ، ت٧٤٨ هـ / ١٣٤٨ م) الطالع السعيد الجامع أسماء الصعيد ، تحقيق سعد محمد حسن ، مطابع سجل العرب ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦٦م ت ٦٨٨هـ / ١٢٧٠ م .

٤ – ابن ابي اصيبعه (أحمد ابن القاسم) عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، تحقيق نزار رضا ، بيروت ١٩٨٩م .

٥ – ابن اياس (محمد بن أحمد ، ت٩٣٠ هـ / ١٥٢٤م) بدائع الزهور في وقائع الدهور جـ١ تحقيق محمد مصطفى ، الهيئة العامة للكتاب ١٩٨٢م.

٦ – ابن أيبك (أبو بكر عبد الله ، ت ٧٣٦ هـ / ١٣٥٣م) كنز الدرر وجامع الغرر جـ٧ تحقيق سعيد عبد الله عاشور ، القاهرة ١٩٧٣م .

٧ – ايمن فواد سيد :الدولة الفاطمية في مصر تفسير جديد ط الدار المصرية اللبنانية ١٩٩٢م.

٨ – البغدادي (موفق الدين عبد الطيف) الإفادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة ثار من مصر تحقيق أحمد غسان سباقوا ط١ دار ابن كثير دمشق ١٩٨٣م .

٩ – الطليلي (بنيامين بن يونه) : رحلة بنيامين ، ترجمة وتعليق عزاز حداد ، ط١ ، المطبعة الشرقية ، بغداد ١٩٤٥م .

١٠- ابن تغربردي (أبو المحاسن يوسف الدين) : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة – جـ٦ طبعة المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر .

المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي جـ١ ، ٦ ، ٧ حقق محمد محمد أمين ، الهيئة العامة للكتاب ١٩٩٤م شفاء القلوب في مناقب بني أيوب ، تحقيق مديحة الشرقاوي ، مكتبة الثقافة الدينية ١٩٩٦م .

١١ – جبران مسعود جبران (الرائد) معجم لغوي عصري مجلدان، دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٨١م.

١٢- ابن الجوزي :: مرآة الزمان في الأعيان جـ٨ ، ط١، ط٤، حيدر أباد الهند١٩٥٢م.

١٣- حسين عبد الحميد الحنبلي (أحمد ابن ابراهيم) الحافظ ابو طاهر السلفي ، مطبوعات المكتب الإسلامي ، دمشق ١٩٧٧م.

١٤- حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد الأثرية ، ط ، الهيئة العامة للكتاب ١٩٩٤م.

١٥- ابن خلكان : (أحمد بن محمد) وفيات الأعيان وأبناء أبناء الزمان تحقيق إحسان عباس والثقافة دار بيروت ١٩٧٨م.

١٦- الذهب (شمس الدين محمد بن أحمد) العبر في أخبار من غبر جـ ٣ تحقيق محمد السعيد بن بسيوني ، دار الكتب العلمية ببيروت .

- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، م١٨ ، فقه بشار معروف ، ط٢ ، القاهرة ١٩٧٧م.

١٧- الرازي (محمد ابن أبي بكر) مختار الصحاح ، ط١ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ١٩٧٦م.

١٨- الزركلي (خير الدين) الأعلام ٨ أجزاء ، ط١٠ ، دار العلم للملايين ، لبنان ١٩٩٢م.

١٩- السبكي (تاج الدين عبد الوهاب) معيد النعم ومبيد النقم تحقيق محمد علي النجار وآخرون ط٢ – مكتبة الخانجي ، القاهرة ١٩٩٣م.

٢٠- السخاوي (نور الدين علي بن أحمد) تحفة الأحباب وبغية الطلاب في الخطط والمزارات والتراجم والبقاع المباركات ، صححه لفيف من العلماء، ط٢ ، مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة ١٩٨٦م.

٢١- السخاوي (محمد بن عبد الرحمن) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع جـ٣ ، دار الجيل ببيروت .

٢٢- ابن العبد (علي ابن موسى) النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة ، تحقيق حسين نصار ، مطبعة دار الكتب ١٩٧٠م.

٢٣- سعيد بن عبد الفتاح عاشور : مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك ، دار النهضة العربية والنشر ببيروت.

٢٤ – سلام شافي لأهل الذمة في مصر في العصر الفاطمي الثاني والعصر الأيوبي ، دار المعارف ، الإسكندرية ١٩٨٢م.

٢٥- السيوطي (الحافظ جلال بن عبد الرحمن) حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة أجزاء ٢٣ مطبعة دار الموسوعات ١٣٢١م.

٢٦- ابن شاكر الكتبي (محمد بن شاكر) فوات الوفيات والذيل عنها (٤ أجزاء) تحقيق إحسان عباس بيروت ١٩٧٣.

٢٧- أبو شامة (أبو محمد بن عبد الرحمن) الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية ، جزءان ، دار الجيل ، بيروت .

الذيل على الروضتين ، تحقيق السيد الحميلي ، ط٢، دار الجيل ، بيروت ١٩٧٤م.

٢٨- ابن شداد (بهاء الدين يوسف بن رافع) النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية أو سيرة صلاح الدين تحقيق جمال الدين الشيال ، ط١ ، القاهرة ١٩٩٤م.

٢٩- الصيرفي (علي بن داود) نزهة النفوس والأبدان في تاريخ الأزمان جزء٢ تحقيق حسن حبش مطبعة دار الكتب ١٩٧١م.

٣٠ – ابن عبد الظاهر (محي الدين أبو الفضل عبد الله) الروضة الظاهرة في خطة المعزية القاهرة ، تحقيق أيمن فؤاد سيد ، ط١ ، الدار العربية للكتاب ١٩٩٦م.

٣١- علي مبارك : الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة ص١٠٦ الهيئة المصرية ١٩٨٧م

٣٢ – ابن العماد (أبو الفلاح عبد الحي) شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، مطبعة مكتبة القدس ١٣٥١هـ .

٣٣ – ابن العميد (المكين بن جرجس) أخبار الأيوبيين ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة .

٣٤ – العيني (محمود بن أحمد) الجمان في تاريخ أهل الزمان ، تحقيق محمد محمد أمين ، الهيئة العامة للكتاب ١٩٨٧.

٣٥ – ابن الفرات (محمد بن عبدالرحيم) تاريخ الدول والملوك ، م٥ ، حققه حسن محمد الشماع ١٩٧٠ م .

٣٦ – القفطي (جمال الدين أبو الحسن علي) أنباء الرواة بأنباء النحاة ط١،٢ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الكتب المصرية ١٩٥٠م.

٣٧- القلقشندي (أبو العباس أحمد بن علي) صبح الأعشى في صناعة الإنشا جـ١٣،١٢،٥ المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر.

٣٨- ابن كثير (إسماعيل بن عمر) البداية والنهاية جـ١٣،١٢ ، تحقيق محمد عبد العزيز النجار ، ط١ ، دار الغد العربي ١٩٩١م.

٣٩- المقريزي (محمد رمزي) القاموس الجغرافي ، جـ٢ ، الهيئة العامة للكتاب ١٩٥٨م المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، جزءان ، مكتبة الثقافة الدينية ،القاهرة ١٩٨٧م.

السلوك لمعرفة دول الملوك جـ١ حققه محمد مصطفى زيادة ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٣٤م.

٤٠- ابن مماتى (أسعد بن مهذب) قوانين الدواوين ، تحقيق عزيز سوريال عطيه ، ط١ ، مكتبة مدبولى القاهرة١٩٩١م.

المنذرى (عبد العظيم بن عبد القوى) التكملة لوفيات النقلة جـ٣ تحقيق بشار عواد ، ١٩٧١م.

٤١- موفق الدين الدبيلجى رسائل عن الحرب والسلام من ترسل القاضى الفاضل تحقيق محمد نشأ الطبعة الثقافية القاهرة ١٩٨٤م.

٤٢- ابن ميسر (تاج الدين محمد بن على : المنتقى من أخبار مصر) جـ٢ – حققه أيمن فؤاد سيد المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية بالقاهرة.

٤٣- النابلسى (أبو عثمان الصفدى) لمع القوانين المفخمة فى قوانين الديار المصرية ، تحقيق كلود كاهن ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، تاريخ القوم وبلاده، دار الجيل بيروت.

٤٤- النويرى (أحمد بن عب الوهاب) نهاية الأدب فى فنون الأدب جـ٢٩ تحقيق محمد ضياء الدين الريس ، الهيئة العامة للكتاب ١٩٩٢م.

٤٥- الهروى (على بن أبى بكر) الإشارات إلى فوق الزيارات نشره لجانين سورديل - ، دمشق ١٩٥٣م.

٤٧- ابن واصل (محمد بن سالم) فرج الكروب فى أخبار بن أتيب ، تحقيق جمال الدين ربيع ، جـ٤ ، مطبعة دار الكتب ١٩٧٢م.

٤٨- ابن الوردى (عمر بن مظفر) تتمة المختصر فى أخبار البشر ، المجلد الثانى ، ط٢ ، المطبعة الحيدرية ، النجف ١٩٦٩م.

٤٩- ياقوت الحموى (شهاب الدين بن عبد الله) معجم الأدباء ٦ ، مطبوعات دار المأمون ، مكتبة عيسى البابى الحلبى.

معجم البلدان م٧،٥،٣،٢ مطبعة السعادة ط١، القاهرة ١٩٠٦م.

المشترك والمفترق صقعا ط٢، عالم الكتب بيروت١٩٨٦م.